جريمة بنكهة التفاح

عمرو مجدي

جريمة جديدة مليئة بالأحداث الغير متوقعة يحقق فيها المحقق الموهوب سامي الجمل. أحداث مثيرة بانتظارك داخل صفحات هذا الكتاب..

فهل أنت مستعد؟..

جريمة بنكهة

التفاح

عمرو مجدي

(١)
الــرحلـة

"هيا.. أسرعي يا ملك" نطق بها الأستاذ مازي وهو يقف أمام غرفة نوم ابنته ثم تابع "سوف نتأخر هكذا عن الذهاب".

قالها ونزل إلى الطابق السفلي، حيث يجلس والده على أريكة مخملية، وزوجته تقف وبجوارها حقيبة سفر بنية كبيرة الحجم.

قال الأستاذ مازي : "ألم تستعد بعد يا أبي؟! هكذا سنتأخر".

"لا أعرف يا بني لما تريد الذهاب إلى الشاطئ بكل هذا الشغف؟". قال الوالد.

"أليس من حقنا أن نستمتع بوقتنا قليلاً؟.." قال مازي. ثم استطرد : "كما أننا لا نقوم بمثل هذه الرحلة سوى مرة واحدة في العام".

"لكن يا بني، لماذا تصر على ذهابي معكم؟ أنا رجل عجوز، وسأكون أفضل إن تركتني هنا".

"هيا يا أبي، الرحلة لن تكون ممتعة بدونك".

قالها وقد كان يقف أسفل السلم المؤدي إلى الطابق الثاني، فنظر إلى أعلى وصاح : " ملك.. أسرعي قليلاً يا عزيزتي.." ثم التفت إلى زوجته قائلا : "أين أدهم يا إلهام؟ أنا لا أراه هنا".

وقبل أن تجيبه، سمع صوت أدهم قادماً من خلفه : "أنا هنا يا أبي".

نظر إليه الأستاذ مازي، وحين رأى ما يرتديه، ضحك ضحكة مجلجلة، وقال : "ما هذا الذي ترتديه يا بني؟!".

نظر أدهم إلى ثيابه، ثم قال متعجباً من كلام والده : "إنها ملابس السباحة! ألسنا ذاهبين إلى الشاطئ؟!".

كان أدهم يرتدي قميصاً أزرقاً بدون أكمام، وسروالاً أزرق قصير مصنوع من الجينز ولا يرتدي أي شئ في أقدامه.

قال الأب : "نعم يا بني، نحن ذاهبون إلى الشاطئ، لكن هذا لا يعني أن ترتدي ملابس السباحة من المنزل!".

وقالت الأم : "انتظر على الأقل حتى نصل إلى الإسكندرية".

لوى شفتيه وهو يقول : "لا. أريد أن أرتديها الآن".

ارتسمت ابتسامة على وجه الجد وهو يقول : "دعوه وشأنه".

تنهد الأب في استسلام ثم قال : "لا بأس".

وفي تلك اللحظة قالت ملك وهي تنزل درجات السلم : "حسناً.. أنا مستعدة".

قال الأب وهو يلتفت لها : "جيد، يمكننا الآن أن..." وصمت فجأة حين وقعت عينيه عليها، لقد كانت رائعة الحسن بالفعل؛ فقد كانت ترتدي فستاناً أرجوانيا حريري الشكل والملمس، يصل لأسفل ركبتيها قليلاً، وهو يناسب تماماً قوامها الممشوق الرائع، وفي قدميها ارتدت (صندلاً) أبيض له كعب طويل، وارتدت في معصمها سواراً فضياً براقاً يخطف الألباب، كما وضعت حول رقبتها عقداً من الذهب الخالص، تناسب تماماً مع بشرتها البيضاء وخصلات شعرها الذهبية الرائعة. كانت بالفعل ملكة جمال في السابعة عشرة من عمرها!

رمقها الأب بنظرة حانية، وأبدى الجد إعجابه الشديد بها، في حين قالت الأم : "يا إلهي، ما هذا الجمال الخلاب يا عزيزتي؟".

عقد أدهم ذو العشر سنوات ساعديه أمام صدره، وغمغم في خفوت : "إنها بشعة".

وسمعه والداه، فهمست الأم إلى الأب قائلة : "انه يشعر بالغيرة". ثم نظرت إلى أدهم قائلة : "ما بال ملاكي الصغير حزين هكذا؟". وداعبت خده الأبيض الصغير في حنان، بينما قال الأستاذ مازي : " هيا، دعونا نسرع". قالها وهو يتجه نحو الأريكة التي يجلس عليها والده ويساعده على النهوض.

قام الجد مع مازي ببطئ.

"أسرع قليلاً يا أبي"

"أنت دائما متعجل هكذا يا مازي.. الشاطئ لن يطير على أية حال".

قال الأستاذ مازي لولديه : "اسبقانا إلى السيارة يا أعزائي".

اندفع أدهم خارجا من الباب وهو يصيح : "ووه!". وكان سعيداً للغاية.

هتفت بـه الأم : "ارتـدي حـذاءاً فـي قـدميك علـى الأقل". لكنـه قد ذهـب بالفعل. ضـحك مـازي وقـال لهـا : "دعيـه كما يحلو له".

فقالـت مسـتنكرة : "أنسـافر مـن القـاهرة إلـى الإسـكندرية وولدنا حافي القدمين؟!".

قال الجد : "لا بأس يا عزيزتي.. نحن أصلاً ذاهبون إلى الشاطئ، حيث لا حاجة إلى الأحذية هناك".

وعقّب مازي على كلام والده قائلاً : "كمـا أننـا سـنذهب إلـى هنـاك بسـيارتنا، ولـن ننـزل منهـا إلا علـى رمـال الشاطئ".

عادت ملك إلى داخل المنزل، وقالـت : "أمـي..لا تنسـي أن تحضري كعكـة التفـاح التـي صـنعتها السـيدة أمـل مـن أجل جدي".

"أوه، حسناً، لقد كدت أنسى بالفعل". ودلفت إلى المطـبخ وأحضـرت علبـة ورقيـة بيضـاء مربعـة الشـكل، فقـال الأستاذ مازي لوالده : "إن السيدة أمـل غايـة فـي اللطـف معك يا أبي، تُرى ما السبب؟".

قـال الأب بطريقـة دراميـة : "إن لـي سـحراً خاصـاً علـى النساء يا بني!".

ضحك مازي في خفوت، وهو يردد : "طبعاً.. طبعاً!".

أحس الأب العجوز بالسخرية في طريقة مازي، فقال له في اللحظة التي عبرا فيها من باب المنزل : "إنني لا أزال أتمتع بكامل جاذبيتي يا ولد".

ضحك مازي وكانا حينها قد وصلا إلى باب السيارة، ففتح الباب لوالده وقال له : "حسنا، تفضل (يا كازانوفا) هذا العصر!"

***

(٢)
كعكة التفاح

استأجر الأستاذ مازي كرسيان، واحد لزوجته، والآخر لوالده، أما هو فإما يكون مع أبنائه في الماء، وإما يشاطرهما الجلوس على الرمال الساخنة.

"يا سلام.." قال الجد، ثم استطرد : "كنت محقاً يا مازي، الشاطئ رائع جداً اليوم".

قالت إلهام : "يسعدني أن أراك مبتهجاً هكذا يا عمي".

من بعيد، رأى أدهم بائع المثلجات، فقال : "أبي.. أريد مثلجات".

"حسناً يا صغيري، هل يريد أحد آخر المثلجات؟!".

رفعت ملك يدها وقالت : "أنا أريد واحدة بطعم الشوكولا".

وقالت الأم : "وأنا أيضاً أريد واحدة بطعم الفراولة".

"وأنت يا أبي؟". قالها مازي وهو ينظر إلى والده، فأجابه : "لا، لا أريد شيئاً.. سوف أتناول الكعكة التي أعدتها أمل لي..". ثم وضع كفه أمام فمه، وهمس لإلهام قائلاً : "إنها معجبة بي كثيراً".

ضحكت إلهام، في حين قال مازي : "حسناً، كما تريد" وذهب ليشتري المثلجات، هتف أدهم : "سأتي معك يا أبي". وأمسك بيد والده، وذهبا معاً.

فتح الجد علبة ورقية وأخرج منها كعكة التفاح التي يعشقها. وقال : "تبدو شهية بالفعل".

وأخذ منها قطعة صغيرة وتذوقها، وارتسمت على وجهه تعابير توحي بالفرح والاستمتاع، وقال : "يا سلام.. منذ سنوات وأنا لم أتذوق كعكة تفاح". ثم أخذ منها قطعة أخرى وأعطاها لإلهام قائلاً : "جربيها يا بنيتي، إنها ستعجبك كثيراً".

أخذتها إلهام من الجد، وتناولتها وهي تقول : "إنها رائعة بالفعل يا عمي".

اقتطع من الكعكة قطعة ثالثة وناولها لحفيدته ملك قائلاً : "عليك أن تجربيها يا ملك، إنها رائعة مثلك يا صغيرتي".

قالت ملك في اشمئزاز : "كعكة التفاح؟! يع!!!".

قالـت إلهـام : "إنهـا وأخاهـا يكرهانهـا كثيـراً، تمامـاً كوالـدهما.." ثـم انتشـلت تلـك القطعـة مـن حماهـا بمـرح وهي تقول : "لكني لست مثلهم!".

ضـحك الجـد، ثـم قـال لهـا : "هـل تعلمـين أن أمـل كانـت سـتكون زوجتـي قبـل أن أتـزوج بوالـدة مـازي (رحمهـا الله)؟".

قالت إلهام : "حقاً؟! لم أكن أعلم ذلك".

"أحببتها منذ كنت شاباً صـغيراً، لكن والـدها أصـر علـى أن من يتزوجها يجب أن يكون شاب ثري، وبالفعل كـان له ما أراد؛ فقد تقدم لخطبتهـا شـاب يـدعى ربيـع السـعيد، وهو ابن رجل أعمال كبير جداً".

"وهل وافق والدها؟" سألت إلهام.

أجابها : "نعم وافق، ورحب أشد ترحيب".

"وماذا فعلت أنت؟".

"أنـا؟ لقـد تزوجـت مـن أخـرى، هكـذا بمنتهـى السـهولة، وأظنني حينها نسيت أمل تماماً". وبدا أنه يكافح البكاء.

"أنـت لـم تنسـها أبـداً.." قالـت إلهـام، كـان صـوتها دافئـاً وحنوناً، وأكملت : "أنت لاتزال تحبها حتى الآن".

تسللت دمعة من عينه وهو يقول : "لقد حاولت أن أنساها، أقسم أنني حاولت كثيراً، والنتيجة أنني أحببتها أكثر".

قلت أن والدها أراد أن يزوجها لرجل ثري، فلماذا لم تتقدم أنت لخطبتها؟ وأنت – ما شاء الله – تمتلك الكثير من المال".

ابتسم الجد قائلاً : "هل تظنين أنني كنت دائماً من أصحاب الملايين؟ لا يا عزيزتي.. لقد كنت أحد الأشخاص الفقراء المعدمين، وأحياناً كنت لا أتناول أي شئ لمدة يومان كاملان".

"حقاً؟!".

"نعم يا بنيتي، لقد كنت فقيراً بصورة لا تصدق، لكن ما أن تزوجت أمل بشخص غيري، لمجرد أنه ثري، كان ذلك كفيلاً بأن يشعرني بالنقص.. أو الغيرة.. بصراحة لا أعرف ماهية هذا الشعور بالضبط.. لكنه – وبالرغم من كل شئ – كان كفيلاً بأن يدفعني لأكون ثرياً".

"وماذا فعلت حتى كونت ثروتك هذه؟ هل تاجرت في المخدرات أو السلاح؟!".

قالت تلك العبارة الأخيرة بمرح. فقال الجد :

"ربما لن تصدقيني إن قلت لك أن كل قرش في ثروتي، هو حلال بنسبة مائة بالمائة".

"لكنك لم تجبني. كيف جمعت تلك الثروة؟ كيف كانت البداية؟".

"حين قررت أن أكون ثرياً، كان لدي سبب قوي يدفعني لفعل ذلك. عملت ليلاً مع نهار، بذلت مجهوداً أضعاف ما يبذله غيري في العمل، وحين كنت أشعر بالإرهاق أو الإعياء، كنت أذكر نفسي بما أريد أن أصل إليه. وفي أقل من تسعة أعوام، استطعت أن أكوّن ثروة قوامها مليون جنيه، ذلك في وقت كان الجنيه فيه يمثل مبلغاً كبير من المال".

قالت إلهام : "كان لعدم زواجك من أمل فائدة كبيرة كما أرى".

"كنت أزداد ثراءاً يوماً بعد يوم لكني لم أكن يوماً أشعر بالسعادة الحقيقية".

بعد لحظة واحدة تمطي الجد في مكانه، ثم تثاءب وقال : "أنا أشعر بالنعاس الشديد، ربما أرهقني كثرة الحديث عن معاناة الماضي".

وأراح الجد رأسه على ظهر كرسيه، وأغمض عينيه، وراح في نوم عميق.

وتمطت إلهام هي الأخرى في مكانها وقالت لملك: "لماذا تأخر أباك وشقيقك كل هذا الوقت؟".

"ربما يكون الزحام شديد على عربة المثلجات، نحن في فصل الصيف كما تعلمين، والحر شديد، وأكيد أن كل من على الشاطئ يريد المثلجات".

اطمأنت إلهام على زوجها وابنها قليلاً بعد سماع هذا الكلام، وأرخت رأسها وأسندته إلى ظهر كرسيها، ثم وضعت قبعتها الصفراء ذات الحواف الدائرية على عينيها، وراحت هي الأخرى في نوم عميق".

***

قال أدهم : "أبي، إلى متى سوف ننتظر هكذا؟ إن قدماي تؤلمانني".

"اصبر قليلاً يا أدهم، ألا ترى هذا الزحام الشديد، وعلى كلٍ، لقد اقترب دورنا كثيراً".

"ولكني لم أعد أطيق الصبر أكثر".

"لا بأس يا بني، كدنا أن نصل".

وفي أقل من خمس دقائق أخرى، كانا قد اشتريا المثلجات وعادا إلى حيث يجلس بقية أفراد الأسرة.

***

(٣)
فـاجعـة

عاد مازي وولده إلى المكان الذي يجلس فيه باقي أفراد أسرتهما الصغيرة، وكان أدهم يلعق قطعة المثلجات الخاصة به منذ أن انصرفا من أمام عربة المثلجات، ولذا كانت على وشك أن تنتهي.

أما الأستاذ مازي، فكان يحمل ثلاث قطع من المثلجات، والتي بدأت بالفعل تذوب على يديه.

قال فور وصوله : "أعتذر عن التأخير، لكن الزحام كان شديد جداً أمام عربة المثلجات"

"لا عليك يا أبي" قالتها ملك وهي تأخذ منه قطعة المثلجات الخاصة بها.

"ما بال أمك وجدك نائمين الآن يا ملك؟" سألها الأب.

"لقد كان جدي يقص على أمي قصة حياته المؤلمة..". ثم ابتسمت وهي تتابع : "ويبدو أنه قد أُرهق من كثرة الحديث، وأعتقد أن أمي ظنتها حكاية قبل النوم!".

قال الأب : "أكره أن أوقظها من نومها، لكن قطعة المثلجات الخاصة بها بدأت تذوب..". ثم نظر إلى زوجته وهمس في رقة "إلهام.. استيقظي يا عزيزتي.. لقد أحضرت لك المثلجات".

لم تجبه الأم، فقال : "يبدو أنها تغط في نوم عميق بالفعل".

أعاد النداء عليها مرة ثانية، وثالثة، لكنها أيضاً لم تجبه.

شعر بالقلق عليها، فألقى المثلجات من يديه، وأزاح قبعتها الصفراء عن وجهها. كانت نائمة كطفلة صغيرة بريئة، وعلى وجهها شبح ابتسامة ساحرة. وبدأ مازي يهزها من كتفيها، وينادي عليها وقد بلغ القلق منه مبلغه، وحين لم ترد، صاح أدهم : "أمي؟ أمي؟ استيقظي يا أمي".

ولم تستيقظ الأم..

أطلقت ملك صرخة مدوية، فاجتمع الناس حولهم، وتقدمت سيدة شابه، ولامست بأطراف أناملها رقبة إلهام

متحسسة نبضها. وفجأة شحب وجهها، وسحبت يدها ببطئ وهي تهز رأسها لليمين واليسار.

فهم الجميع على الفور معنى ذلك، وسرت همهمات من بين الجموع.

"لا حول ولا قوة إلا بالله"..

"إنا لله وإنا إليه راجعون"..

"اللهم ألهم أهلها الصبر والسلوان"..

صرخ الطفلان يناديان أمهما في لحظة واحدة.. ووقف مازي مصدوماً.

وصاح أحد الحاضرين مشيراً إلى الجد : "وهذا الرجل أيضا لا يحرك ساكناً".

اقترب رجل وقور – يبدو أنه طبيب – من الجد وأمسكه من معصمه متحسساً نبضه هو الآخر. ثم التفت إلى الجميع، وازدرد ريقه وهو يقول في مرارة : "البقاء لله".

شهق معظم الحاضرين في هلع، وجثا الأستاذ مازي على ركبتيه مشدوهاً وغير مصدق لما حدث.

قالت إحدى السيدات : "لا حول ولا قوة إلى بالله.. اثنان من نفس الأسرة.. في يوم واحد.. وعلى الشاطئ؟!".

وقالت أخرى أصابها الارتياع : "كيف حدث ذلك؟!".

وبكى أدهم بكاءاً حاراً، وانتابت ملك نوبة عصبية فظلت تصرخ وتصرخ بأعلى صوتها، فثارت غريزة الأمومة في إحدى السيدات، واندفعت نحو الطفلان، واحتضنتهما بقوة وهي تذرف الدمع في صمت.

وصاح رجل أجش قائلاً : "لا أحد يقترب حتى يأتي رجال الشرطة".

وأتى رجال الشرطة..

***

(٤)
رئيس المباحث

رن جرس الهاتف في منزل عائلة الجمل،

وقامت سيدة كبيرة في السن بالرد.

"مرحباً" قالت السيدة، فأتاها الرد : "مرحباً، هل سامي موجود؟".

"نعم.. لقد عاد لتوه".

"لو سمحتي، أخبريه أن العقيد سعد الدين شيراز على الهاتف، ويريده في أمر مهم".

فقالت : "لحظة واحدة يا بني..". ثم نادت على سامي بأعلى صوتها، فأتى شاب نحيل الجسد، طويل القامة، يبدو عليه أنه في أواخر العقد الثاني من عمره، له وجه أبيض حليق، مشوب بحُمرةٍ خفيفة، وأنف طويل (نسبياً)، وفم دقيق، وشعر أسود ممدوح، كان وسيماً بدرجة لا بأس بها. قال للسيدة العجوز : "ما الأمر يا جدتي؟".

مـدت يـدها الممسـكة بالسـماعة إليـه وهـي تقـول : "إنـه العقيد سعد الدين شيراز".

التقط منها السماعة وقال : "مرحباً".

أتاه صوت محدثه قائلاً : "أهلاً يا سامي".

"سيادة العقيد.. كيف حالك؟".

"أين كنت؟ لقد طلبتك ثلاث مرات قبل ذلك".

"أنـا آسف يـا سيدي.. لكـن والـد أحـد أصـدقائي مـريض جداً.. وكان يجب أن أكون بجانبه".

"حسناً، لا بأس".

"ما الأمر يا سيدي؟" سأل سامي.

"هناك جريمة وقعت على شاطئ الإسكندرية بالأمس".

"جريمة؟ من أي نوع؟".

"قتل.." قال العقيد، ثم أكمل : "لقد تلقينـا جوابـاً يفيـد بـأن اثنين من عائلة واحدة لقيـا مصـرعهما فـي ذات اللحظـة، وعلـى الفـور تحركـت دوريـة مـن دوريـات الشـرطة للتحقق من هذا الأمر، فإذ بالضحية الأولى مليونير كبير يـدعى (رأفـت إبـراهيم)، والضـحية الثانيـة هـي زوجـة ولده، وتدعى (إلهام أسعد).

سأل سامي : "هل يمكنني أن أعرف بعض التفاصيل؟".

"قبل أن أخبرك أي شئ، ما رأيك أن تتناول القهوة معي في مكتبي؟".

"بكل سرور يا سيدي، متى تريدني أن آتي إليك؟".

"الآن"..

***

لم تكد تمر نصف ساعة حتى كان سامي في مكتب العقيد سعد الدين شيراز (رئيس المباحث العامة).

كان العقيد رجلاً في أوائل الخمسينات من عمره، ضخم الجثة، حليق الرأس، له شارب رمادي مهذب بعناية، يرتدي بذلة سوداء قاتمة.

"شاي أم قهوة؟" وجّه العقيد هذا السؤال لسامي، فأجابه هذا الأخير قائلاً : "شطيرة بالجبن الرومي".

"عفواً؟!".

"ماذا؟! أنا لم أتناول غدائي بعد".

ضحك العقيد حين كان يضغط زراً فوق مكتبه، فدخل المجند الذي كان يقف على الباب، وأعطى التحية العسكرية : "تمام يا فندم".

قال العقيد "أخبر الساعي أن يأتي بكوبين من القهوة المضبوطة.. وشطيرة بالجبن الرومي!".

وبعد انصراف المجند قال سامي : "هلا تخبرني الآن كيف كانت تفاصيل تلك الجريمة؟".

قال العقيد : "أخبرنا المدعو مازي رأفت (٤٣ سنة) – وهو ابن العجوز رأفت إبراهيم، وزوج السيدة إلهام أسعد – أنه ذهب ليشتري المثلجات وبرفقته ابنه الصغير أدهم، وحين عاد، وجد أباه وزوجته نائمين، كلٌ على كرسيه، حاول أن يوقظ زوجته ليعطيها قطعة المثلجات الخاصة بها، لكنها لم تستيقظ.. ولن تستيقظ أبداً".

"ألم يحاول إيقاظ والده؟".

"لا؛ لم يكن هناك داع لذلك، لذا فكر أن يتركه مستريح".

سأل سامي : "وهل حددتم سبب الوفاة؟".

"مازلنا بانتظار تقرير المعمل الجنائي، لكن من خبرتي الطويلة، أؤكد لك أن هناك من دس السم لهما في الطعام، سم يجعل المرء يموت دون ألم".

"وبعد...".

"لقد علمنا أن الضحيتين كانتا قد تناولتا جزءاً من كعكة التفاح قبل أن يلقيا حتفيهما بحوالي عشر دقائق، وبالطبع فقد أرسلنا الكعكة للمعمل الجنائي لمعرفة إن كانت هي سبب الوفاة أم لا".

سأل سامي : "ومن أين أحضروا تلك الكعكة؟".

"سألنا السيد (مازي) هذا السؤال، فأخبرنا أن جارة لهم تدعى أمل عبد الحميد (٦٥ سنة) هي من صنعتها للسيد رأفت حين علمت أنه ذاهب معهم إلى الشاطئ، وأن من أوصلتها إلى منزلهم هي ابنتها سارة التي تبلغ من العمر (٣٣ سنة)".

"وهل قمت بتفتيش منزل تلك الجارة؟".

"ما زلت أنتظر تقرير الطب الشرعي ليؤكد كلامي، أو ينفيه، وحينها يحق لي أن أتصرف".

"وماذا عن الخدم؟" سأل سامي.

"السيد رأفت لم يكن لديه خدم بمنزله؛ فهو يزعم أن وظيفتهم الأولى هي إفساد البيوت وتخريبها".

طرق الباب، ودخل الساعي ومعه (صينية) عليها كوبين من القهوة، وشطيرة بالجبن الرومي، وضع أحد الكوبين أمام العقيد، والآخر أمام سامي، وأمسك الشطيرة

ووضعها أمام العقيد. فقال العقيد مشيراً إلى الشطيرة : "ضعها أمام الأستاذ سامي..". ثم ابتسم وهو يستطرد : "لا نريده أن يقول أن رجال الشرطة بخلاء".

أخذ الساعي تلك الشطيرة من أمام العقيد، ووضعها أمام سامي، فشكره سامي، ثم أشار إليه العقيد بالانصراف.

قال سامي : "ما الذي استنتجته يا سيدي من هذه القضية؟".

"أنا لم أستنتج شئ حتى الآن، سوى أني أرى أن المشتبه فيهم الآن هما السيدة أمل وابنتها سارة".

"وماذا أيضاً؟".

"ماذا تقصد يا سامي؟ هل اكتشفت أنت أي شئ آخر؟".

"لقد اكتشفت خمسة أشياء هامة".

"وما هي؟" سأل العقيد بلهفة.

أجابه سامي : "اكتشفت أولاً / أن العجوز رأفت هو المقصود بالقتل، وليست إلهام..

ثانياً / أن السيدة أمل مغرمة برأفت كثيراً..

ثالثاً / أن السيدة أمل وابنتها بريئتان من قتل رأفت، و إلهام..

رابعاً / أن السيد رأفت بخيل جداً..

خامساً / أننا أمام مجرم ذكي جداً.. مجرم يخطط لكل حركة، ويدرس كل خطوة بدقة قبل أن يقدم على تنفيذها".

اتسعت عينا العقيد سعد الدين في دهشة وهو يقول لسامي : "مستحيل، كيف اكتشفت كل هذا؟!".

ابتسم سامي وهو يقول : "الأمر أبسط مما تتخيل يا سيادة العقيد..".

وبدأ يشرح للعقيد قائلاً : "لقد قلت لي أن السيدة أمل صنعت تلك الكعكة لرأفت، لذا فإن من الواضح جداً أن رأفت هو المقصود، وأكيد أن المجرم لم يتوقع أن تأكل السيدة إلهام من الكعكة".

"هذه ملاحظة جيدة، لكن كيف اكتشفت أن أمل مغرمة برأفت؟ هل لأنها صنعت له كعكة التفاح؟".

"الأمر بسيط، أليس كذلك؟".

"لكنها ربما صنعتها لتنتقم منه على شئ نجهله".

"لا أظن ذلك" قال سامي.

"ولِمَ لا؟" سأل العقيد.

فأجابه سامي قائلاً : "لأنها لو كانت تكرهه، أو تنوي إيذاؤه، لما قبل منها تلك الكعكة".

"ربما ادّعت أنها تحبه، حتى تستطيع أن تنتقم منه".

هز سامي رأسه لليمين واليسار وهو يقول : "لقد خيبت ظني فيك يا سيادة العقيد؛ هل تتوقع أنها من الممكن أن تنتقم منه وتجعل من نفسها المشتبه الأول في تلك الجريمة؟! لا أظن أنها تكون أبداً بهذا الغباء!".

قال العقيد : "أظنني استوعبت تلك النقطة جيداً، واستوعبت أيضاً أنها بريئة، ولكن هل تظن حقاً أن سارة ابنتها بريئة؟ لربما اكتشفت أن أمها تحب رأفت وخشيت أن يتحول هذا الحب إلى زواج، فأرادت التخلص منه".

"هذا احتمال ضعيف..". أجاب سامي، ثم استطرد : "حتى لو افترضنا أن ما تقوله صحيح، فهل ستذهب سارة لتقدم الكعكة المسممة بيدها؟!".

"سارة لا تزال حديثة السن، وربما لم ينضج عقلها بالكامل بعد".

"لقد قلت لك أنني أستبعدها من دائرة الشبهات تماماً".

فقال العقيد : "دعنا من هذه النقطة وللنتقل للنقطة التالية. تقول أن السيد رأفت هو رجل بخيل جداً، فكيف اكتشفت ذلك؟".

"لقد قلت لي عبر الهاتف أن رأفت هو مليونير كبير، لذا فهو شخصية عامة، وبالتالي غالباً ما ستكون سيرته الذاتية أو جزء من قصة حياته منشورة على الانترنت. لذا وقبل أن آتيك، بحثت في الانترنت عن اسم (رأفت إبراهيم)، فوجدت بالفعل سيرته الذاتية، ومكتوب فيها أنه في عام ألف وتسعمائة وسبعون كان عاملاً بسيطاً في أحد مصانع الغزل والنسيج. وبعد تسع سنوات فقط، صار يملك ثروةً قوامها مليون جنيه مصري. وهذا معناه أنه كان يضع القرش على القرش، ولا ينفق من ماله إلا بقدر محدود جداً. وما زاد إيماني بأنه بخيل هو أنني وجدت في بحثي بعض الصور له مع كبار رجال الأعمال وبعض المشاهير، ورغم أن هذه الصور تم التقاطها في أوقات وظروف مختلفة، إلا أنني لاحظت أنه يرتدي أحد بذلتين اثنتين فقط في كل الصور، وكلاهما من النوع الرخيص، وما أكد لي أنني محق حين أخبرتني أنه لا يملك خدم".

"إذاً ربما يكون القاتل هو أحد الورثة، وقد قتله بدافع الاستيلاء على أمواله".

"هذا احتمال وارد بلا شك، بالمناسبة من هم ورثته؟".

فقال العقيد : "إن لديه من الأبناء اثنان، وهما مازي ولمياء".

"يجب أن نضع نصب أعيننا احتمال أن يكون أحدهما هو القاتل. كما يجب ألا نهمل بقية الاحتمالات".

سأل العقيد "بقية الاحتمالات؟! أي احتمالات؟".

"لا أدري بعد يا سيادة العقيد". قالها سامي وصمت ليفكر قليلاً، ثم أمسك شطيرة الجبن الموضوعة أمامه وبدأ يتناولها في شرود ذهن واضح. وأخذ العقيد هو الآخر يفكر بتركيز شديد.

فجأة صاح سامي : "يا سلام".

نظر إليه العقيد مسرعاً، وسأله بلهفة : "هل توصلت إلى شئ؟".

"لا ليس بعد".

صاح فيه العقيد : "إذاً لماذا هتفت وقلت (يا سلام)؟!".

فقال سامي : "كنت أتحدث عن الشطيرة.. إنها رائعة جداً!".

"أوه.. اعتقدت أنك توصلت لشئ في هذه القضية".

طرق الباب في تلك اللحظة

"ادخل".

دخل ذلك المجند الذي كان يقف على الباب، وكان معه مظروف كبير. ألقى التحية العسكرية، ثم أعطى ذلك المظروف للعقيد سعد، وأشار إليه العقيد بالخروج.

قال بعد أن فتح هذا المظروف : "رائع.. لقد وصل تقرير الطب الشرعي".

"وهل أثبت أنهم ماتوا بالسم؟".

"نعم، بالفعل كان هناك سم في الكعكة".

"أظنك ستحصل من النيابة حالاً على إذن بتفتيش منزل السيدة أمل؟".

"نعم، سأفعل ذلك على الفور. هل ستأتي معي؟".

"بصراحة لقد أرهقت كثيراً اليوم، وأحتاج إلى بعض الراحة".

"حسناً، كما تحب". قالها العقيد وهو ينهض ليصافح سامي.

التفت سامي قبل أن يخرج من مكتب رئيس المباحث وسأله : "كدت أنسي، من الذي سيتولى التحقيق بشكل رسمي في هذه القضية؟".

قال العقيد : "سيتولاها وكيل النيابة (راضي عبد الله)، أنت تعرفه".

أومأ برأسه أن نعم، ثم ودعه وانصرف.

***

(٥)
مـا حدث بـعد ذلـك

جلس الأستاذ مازي فوق سريره وحيداً حزيناً. نظر بجواره إلى الموضع الذي اعتادت إلهام أن تنام فيه. وقد كان فارغاً. تخيل زوجته وهي تنام في هذا الموضع مغمضة العينين وعلى وجهها شبح ابتسامة آسرة.

قال بنبرة ملأها البؤس والحسرة : "آه يا قلبي. لقد اشتقت إليكِ كثيراً يا إلهام". ثم اغرورقت عيناه بالدموع وهو يقول : "لماذا تركتني يا إلهام؟ لماذا يا حبيبتي؟".

تنبه فجأة لصوت طرق على باب الغرفة. جفف دموعه بيديه، ونهض مسرعاً وفتح الباب. كان أدهم وملك يقفان هناك. حاول أن يتمالك نفسه وهو يسألهم : "ما الأمر يا أعزائي؟".

"أبي..." هتف بها أدهم وهو يلقي بجسده بين ذراعي أبيه مجهشاً بالبكاء. ضمه الأب إلى صدره واحتضنه

بشـدة. أراد أن يواسـيه بـبعض الكلمـات، لكـن الكلمـات رفضت أن تخرج من بين شفتيه. ألقى نظرة علـى ملك. كانـت تقـف علـى قـدميها. أمامـه مباشـرة. لكنهـا كانـت واجمة شاردة الذهن.

"ماذا بكِ يا صغيرتي؟".

لم تجبه. هتف باسمها منادياً. مرة أخرى لا إجابـة. كـان يعذرها؛ إنها لا تصدق. هو نفسه لا يصدق. هل رحلـت إلهام بهذه البساطة، إلى الأبد؟..

تسللت بعض العبرات من عينيها النصف مغمضتين فـي صمت، إنها تتألم. ليس ألماً بالمعنى التقليدي. إنه ألم من نوع خاص، ألم القلب.

سحبها الأب من ذراعها الأيمن، وضمها إليه فـي عطـف وإشفاق، هو أكثر من يشعر بمعاناتهـا. قبّـل رأسـها وهـو يقـول : "كـل شـئ سـيكون علـى مـا يـرام يـا عزيزتـي.. أعدكِ بذلك.. لا تقلقي".

قالها ثم فكر "هل حقاً سيكون كل شئ على ما يرام؟".

***

أشرقت الشمس، وتسلل أحد أشـعتها الذهبيـة مـن النافـذة، فأضـاء غرفـة نـوم سـامي. قـام وهـو يتمطـى ممـداً ذراعيـه

للجانبين بقوة، ثم تثاءب، وتمطى من جديد. نهض من فوق فراشه، وخرج من الغرفة متجها إلى الردهة، وهناك كانت جدته تجلس وتتحدث في الهاتف.

"صباح الخير يا جدتي".

نظرت إليه وحيته بإيماءة من رأسها، ثم قالت لمحدثها عبر الهاتف : "ها هو قد استيقظ أخيراً..". ثم نظرت إليه قائلة : "أقبل يا سامي؛ والدتك تريد محادثتك".

اقترب سامي وكان لا يزال يرتدي (بيجامة) النوم وهي عبارة عن سترة بيضاء تتخللها خطوط رأسية زرقاء، بالإضافة إلى سروال فضفاض من نفس النوع والشكل.

أخذ سامي سماعة الهاتف من جدته وهو يقول : "مرحباً يا أمي.. أجل أنا بخير.. لا تقلقي.. كيف تقولين هذا.. بالطبع اشتقت إليكِ.. وإلى أبي وأختي أيضاً.. ماذا؟.. آه، نعم.. كنت سأزوركم اليوم بالطبع، لكن حدثت جريمة أخرى، وتريدني الشرطة أن أساعد في كشف طلاسمها.. حسناً، سأحاول.. نعم، وأنا أيضاً أحبك يا أمي.. إلى اللقاء".

وبعد نصف ساعة، حين كان يجلس في غرفته يطالع أحد كتب علم النفس الشهيرة، إذ طرقت جدته باب غرفته وقالت : "الفطور جاهز يا سامي".

وعلى المائدة، جلس سامي وبجواره جدته يتناولان طعام الإفطار معاً.

قالت الجدة : "سمعتك تتحدث مع والدتك عن قضية جديدة".

"نعم يا جدتي".

"أخبرني يا صغيري؛ أنت تعلم أنني أحب سماع تلك القصص".

بدأ سامي يقص عليها ما أخبره به العقيد سعد يوم أمس، وبعد أن انتهى من كلامه، صمتت الجدة لبرهة كأنما تفكر، ثم قالت فجأة : "البنت سارة هي الفاعلة".

ابتسم سامي، وقال وهو يضع بيضة أخرى في فمه : "ما الذي يجعلكِ متأكدة هكذا يا جدتي؟".

"مؤكد أنها خشيت أن يتزوج ذلك الرجل والدتها، لذا دست له السم في الكعكة، لقد رأيت ذلك في فيلم قديم".

ضحك سامي، ثم قال : "كلامك هذا ليس عليه دليل واضح يا جدتي".

قالت الجدة : "أليس الاعتراف سيد الأدلة؟".

"نعم".

"إذاً اطلب من صديقك العقيد أن يقبض عليها، ويعذبها حتى تعترف".

ضحك سامي، ثم قال : "يعذبها حتى تعترف؟! تلك القضايا لا تحل بهذا الشكل يا جدتي، أين رأيت ذلك؟".

أجابت الجدة : "في نفس الفيلم".

كانت ضحكة سامي عالية هذه المرة.

بشئ من الغضب، قالت الجدة : "علام تضحك؟!".

"لا شئ يا جدتي. لا شئ". وأكملا إفطارهما في صمت لبعض الوقت.

كسرت الجدة حاجز الصمت هذا وهي تقول بفطرتها السليمة : "ما رأيك أن تقبضوا عليها، وتجعلوها تقسم على كتاب الله أنها لم تضع السم في الكعكة؟".

ضحك سامي ضحكة مكتومة، حتى لا يُغضب جدته، ثم قال : "هل تظنين يا جدتي أن فتاة قد قتلك شخصاً بالسم، سيكون لديها إيمان قوي؟!".

"ماذا تعني؟"

"أعني أنها إن استطاعت قتل الأبرياء، يمكنها أيضاً وبسهولة إخلاف يمينها".

فكرت الجدة قليلاً في كلام سامي، وقد بدا على وجهها أنها على وشك الاقتناع. لكنها قالت : "لا.. بل إنها ستقول الحقيقة ولا شك!".

ابتسم سامي، وهز كتفيه، وعاد يكمل تناول إفطاره. وفي تلك اللحظة، صلصل جرس الباب.

نهض سامي، واتجه صوب الباب، وجد فتاة شابة في متقتبل العمر وجهها كأنه القمر، لكنه لا يخلو من لمسة حزن أضفت على جمالها جمالاً.

"هل أنت المحقق الخاص سامي الجمل؟". سألته الفتاة، كان صوتها عزباً رقيقاً.

"نعم، أنا سامي، كيف أستطيع مساعدتك؟".

قالت بتردد : "أريدك أن تتولى التحقيق في جريمة تهمني كثيراً".

"أنا آسف.. أنا بالفعل أحقق في جريمة مهمة في الوقت الحالي".

ازدردت ريقها، وقالت : "أنا آسفة، لم أكن أعلم أنك ستخذلني". وانطلقت مرتدة على أعقابها.

"انتظري..".

إلتفتت إليه، فاستطرد : "حسناً، سوف أساعدك".

تهللت أساريرها وهي تهتف : "حقاً؟".

"تفضلي بالدخول".

دلفت من الباب، واتجهت نحو الغرفة الموجودة إلى اليمين، إلى حيث أشار إليها بيده، وكانت تلك هي غرفة الضيوف. ثم طلب منها الجلوس، فاستجابت. وجلس على المقعد المقابل لها رافعاً رأسه في شموخ وواضعاً قدماً فوق الأخرى.

قالت في نفسها "إنه حقاً وسيم"، في حين سألها : "ما هي تلك الجريمة التي أرسلت بكِ إلى منزلى المتواضع؟".

"أولاً.. أنا اسمي ملك مازي رأفت وقد جئتك بخصوص...".

"بخصوص حادث مقتل جدك ووالدتك".

"وكيف عرفت؟!".

ابتسم وهو يقول : "لقد كلفت بمعاونة رجال المباحث في التحقيق في تلك القضية".

"إن استطعت يا سيدي أن تمسك القاتل، فأنا مستعدة لأعطيك كل ما تريد من مال".

"أجـري سـآخذه مـن رجـال الشـرطة، فـلا تقلقـي بهـذا الشأن".

شكرته ملك فاستطرد : "لكن إن أردتِ المساعدة، فإنني ولا شك سأحتاج منكِ إلى بعض المعلومات في المستقبل القريب".

بعـدها تبـادلا أرقـام الهواتـف. وهمّـت بـالخروج، فقـال سامي : "أمر أخير يا آنستي..".

نظرت إليه بتساؤل فأكمل : "هل يعلم أحد بقدومك إلـى هنا؟".

"لا".

"جيد؛ لأنني لا أريد لأحد أن يعلم أنك قابلتني، ولا حتـى أباك أو أخاك الصغير".

"ولكن لماذا؟".

"أرجوك يا آنسة ملك. نفذي الأمر فحسب".

"حسناً، لك هذا".

***

(٦)
في مساء تلك الليلة

"ادخل". هتف بها وكيل النيابة (راضي عبد الله) بعد أن سمع طرقاً على باب مكتبه.

دلف سامي من الباب قائلاً : "مساء الخير يا راضي بيه".

"أهلاً أهلاً يا أستاذ سامي". قالها بلهجة رسمية وهو ينهض مصافحاً إياه. كان يعرف سامي معرفة قوية؛ فقد عملا معاً قبل ذلك ببضعة أشهر في قضية اشتهرت في الصحافة باسم (سارق الأرواح).[١]

"ماذا تشرب؟".

"لا شئ.. شكراً لك".

"هذا لا يجوز، يجب أن تشرب شيئاً".

"إذا كنت تصر، فكوب من الليمون يفي بالغرض".

---

[١] ترقب صدور رواية (حاصد الأرواح).

"حالاً". قالها وهو يرفع سماعة هاتفه ويطلب كوباً من القهوة وكوباً من الليمون.

كان وكيل النيابة في الأربعين من عمره، له وجه أبيض وشارب أسود رفيع مهذب بعناية. وشعره كان أسوداً متوسط الطول. وسرعة البديهة هي أهم صفاته، ربما لا يملك صفة جيدة أخرى!.

دقيقة واحدة وأتى الساعي بالقهوة وعصير الليمون.

سأل وكيل النيابة : "ما المناسبة السارة التي ذكرتك بنا هذا المساء يا أستاذ سامي؟".

"بصراحة أردت أن أطّلع على تفاصيل الجريمة التي حدثت بالأمس على الشاطئ".

"هل تقصد الخاصة بقتل المليونير رأفت إبراهيم وزوجة ولده؟".

"بالضبط".

ابتسم راضي بيه وهو يقول بفظاظة : "أستاذ سامي، أظن أن خدماتك اليوم ليس لها قيمة".

"ماذا تعني؟".

"لقد أمسكنا بالمجرم".

"حقا؟! بهذه السرعة؟!".

"نعم، وعلى كل حال، حظ أوفر المرة القادمة". قالها وهو ينهض ليصافح سامي.

شعر سامي بالإحراج، لكنه قال : "على الأقل أريد أن أعرف من هو القاتل".

تنهد راضي بيه، ثم جلس وقال : "إنها فتاة، تدعى سارة ربيع السعيد، وهي ابنة السيدة أمل عبد الحميد، جارة المجني عليهم".

"ولكن كيف عرفتم أنها القاتلة؟".

حين علمت بأن السيدة أمل هي من صنعت تلك الكعكة، أصدرت أمري على الفور بتفتيش شقتها، ووجدنا زجاجة تحتوي بداخلها على مادة سامة. وأثبت المعمل الجنائي أنها نفس المادة السامة التي وضعت في الكعكة.

ألم تنكر سارة علاقتها بتلك الزجاجة؟

بالطبع أنكرت، كأي مجرم آخر.

لكن ربما تكون محقة. ربما تكون تلك مكيدة قد وقعت فيها.

"لا ليست مكيدة؛ لأننا وجدنا بصماتها على تلك الزجاجة مما جعلنا على يقين تام بأنها الفاعلة".

"ولكن كيف كان وقع ذلك الخبر على والدتها؟".

"تقصد السيدة أمل؟ لقد سقطت مغشياً عليها فور أن علمت أن سارة هي القاتلة، وأظنها الآن في المستشفى العام".

"كانت قضية سهلة إذاً؟".

"سهلة أو صعبة، لا بد للعدالة أن تأخذ مجراها".

***

أشارت عقارب الساعة الموضوعة على الحائط في غرفة نوم سامي إلى الثانية وعشر دقائق، وكانت تلك الليلة قائظة الحرارة، مما اضطر سامي إلى أن ينام ويترك النافذة مفتوحة، وهذا جعل ضوء القمر يتسلل خلسة إلى الغرفة ليضيئها إضاءة خافتة. في تلك اللحظة كان سامي يحلم بسارة، ورأى مجندان يجرانها إلى غرفة الإعدام، وهي تصرخ وتصيح : "أنا بريئة. أنا مظلومة...".

وقاداها إلى أعلى منصة الإعدام. ورأى سامي شيخاً كبيراً وقوراً، له لحيه بيضاء ويرتدي جلباباً أبيض. وكان هذا الشيخ يقف بجوار منصة الإعدام ويحاول أن يلقنها الشهادة. لكنها لا تكف عن الهتاف بأنها بريئة.

وضع أحد المجندان عصابة على عينيها، في حين أمسك بها الآخر من ذراعيها في إحكام، وما أن انتهى الأول من تعصيب عينيها، حتى وضع حبل المشنقة حول رقبتها مباشرة. في تلك اللحظة. رأى سامي نفسه يقف على باب غرفة الإعدام وهو يهتف ويصيح : "توقفوا.. توقفوا..".

إلتفت إليه الجميع في حين انه استطرد قائلاً : "إنها ليست القاتلة.. أنا أعلم القاتل الحقيقي.. إنه...". وفي تلك اللحظة بالذات دوى صوت منبهه الموضوع على الكومود بجوار سريره. ففزع من نوه وإذ بالشمس قد أشرقت، وأضائت الغرفة بالكامل.

قال محدثاً نفسه بصوت مسموع : "يا له من حلم مزعج".

لكنه في قرارة نفسه كان يشعر أنه ليس مجرد حلم مزعج.. إنها رسالة..

رسالة فحواها أن سارة بريئة..

ويجب أن يدافع عنها..

ويثبت الحقيقة..

***

(٧)
البحث عن الحقيقة

"مرحباً" هتفت بها ملك وهي تجيب على هاتفها المحمول، وأتاها صوت محدثها قائلاً : "مرحباً يا ملك".

"أهلاً يا سيادة المحقق. كنت سأتصل لأشكرك على اكتشاف المجرم في هذا الوقت السريع".

"بصراحة يا ملك أنا لم أفعل أي شئ. رجال الشرطة بالإضافة إلى وكيل النيابة هم من قاموا بكل العمل".

"لا يهم..". قالتها ملك، واستطردت : " المهم أن المجرمة سارة قد كُشفت، وأنها ستعاقب أشد العقاب جزاء...". وأمسكت عن الكلام؛ فقد كانت على وشك البكاء.

قال سامي : "لقد اتصلت بكِ بشأن هذا".

"ماذا تعني؟ هل جد جديد؟".

"بصراحة يا ملك أن واثق من أن سارة بريئة".

"حقاً؟!".

"أنا آسف لإبلاغك بذلك، لكنها الحقيقة".

هتفت ملك : "لماذا تدافع عن التي قتلت أمي؟".

"لا يا ملك ، الأمر ليس كما تظنين".

تابعت وكأنها لم تسمعه : "كنت أظنك نصيراً للحق".

"بالفعل أنا كذلك".

صاحت مسرعة : "لا.. لست كذلك".

"اهدأي قليلاً يا فتاة، أنا مقدر لك الوقت العصيب الذي تمرين به، لكن عليكِ أن تثقي بي، إن مهمتي هي كشف الحقائق والدفاع عن الأبرياء ووضع المجرمين تحت طائلة العدالة".

"لكنك...".

قاطعها بحزم : "أنا لم أنهي كلامي بعد. ثم إن لدي سؤال واحد لك الآن، هل تفضلين أن ينال القاتل الحقيقي عقابه، أم أن ينال ذلك العقاب شخص برئ؟".

مرت لحظة صمت قبل أن تقول له : "ماذا تريد مني بالضبط؟".

***

في أحد المقاهي الفاخرة، كان سامي يجلس وأمامه ملك.

"ها أنا حضرت كما طلبت مني". قالتها ملك، ثم استطردت : "ماذا تريد؟".

"أجوبة".

"عفواً؟!".

"سأطرح عليكِ بعض الأسئلة، وأتوقع أن تجاوبيني عنها بمنتهى الصراحة".

تنهدت ثم قالت : "حسناً.. سل ما شئت".

كانت لهجتها جافة جداً مع سامي هذه المرة، لكنه لم يكن ليبالي بذلك أبداً، كل ما يهمه أن يعرف الحقيقة، ولا شئ آخر..

سألها سامي : "متى أحضرت سارة تلك الكعكة؟".

"صبيحة اليوم الذي ذهبنا فيه إلى الرحلة، يوم الثلاثاء".

"وفي أي ساعة بالضبط أحضرتها؟".

"ما بين السادسة، والسادسة والنصف".

"وكيف علمت السيدة أمل بأنكم ذاهبون إلى الشاطئ؟".

"كانت عمتي قد زارتنا عشية يوم الاثنين، واتصلت أمي بالسيدة أمل لتخبرها بوصول عمتي...".

"ولكن لماذا اتصلت والدتك بالسيدة أمل؟ ما هي علاقة السيدة أمل بعمتك".

"إنهما صديقتان مقربتان رغم فارق السن الكبير بينهما".

"آه، نعم.. تابعي من فضلك".

"بعد أن اتصلت أمي بالسيدة أمل، وجدنا هذه الأخيرة قد أتت في أقل من خمس دقائق، وبالطبع رحبت بعمتي أشد ترحيب، وقضت بعض الوقت معنا. ثم عادت إلى منزلها قبيل العاشرة مساءاً".

"وهل أتت عمتك لزيارتكم وحدها؟".

"لا، لقد أتت ومعها زوجها (الأستاذ كامل)، وولدهما (محمد)".

"وبالطبع باتت عمتك وزوجها وابنها في بيتكم تلك الليلة".

"بالتأكيد؛ لأنهم يعيشون في مدينة دمياط الجديدة، والمسافة بينها وبين القاهرة مسافة كبيرة كما تعلم".

"نعم.. ولكن منذ متى وهم يعيشون في مدينة (دمياط الجديدة)؟".

"منذ حوالي سبع سنوات، عمتي أخبرتني بذلك".

"وأين كانوا يعيشون قبل ذلك؟".

"بصراحة لا أدري".

"إنهم لم يكونوا معكم على الشاطئ، أليس كذلك؟".

"لا لم يكونوا معنا؛ لأن زوج عمتي الأستاذ كامل قال إنه يجب أن يذهب إلى المدرسة التي يعمل بها في أمر طارئ".

"هو مدرس إذاً؟".

"نعم".

"وما هو تخصصه؟".

"يمكنك أن تسأله، فأنا لا أدري".

"وماذا يمكنك أن تخبريني عن بن عمتك؟"

"محمد؟ لا شئ مهم، إنه فتى في مثل سني.. لكني بصراحة لا أستلطفه، إنه فتى ثقيل الظل، والحجم أيضاً".

"إذاً تقــولين أن عمتــك غــادرت هــي وأســرتها فــي الصباح؟".

"نعم".

"وهل غادروا قبل أن تأتي سارة بالكعكة أم بعدها؟".

"لقد غادروا قبل أن تأتي سارة ببضع دقائق، وكان زوج عمتي متعجل جداً".

ثم تململت ملك في مكانها، وقالت : "هل بقي الكثير من الأسئلة؟ لقد بدأت أشعر بالضجر".

تجاهل سامي كلامها تماماً، وسألها : "كم خادماً تمتلكون يا ملك؟".

أجابته ملك : "عفواً.. أي خدم؟! نحن لا نمتلك أي نوع من الخدم".

بالطبع كان يعرف تلك الإجابة مسبقاً؛ لكنه أراد أن يمهد للسؤال القادم.

وتظاهر بأنه تفاجئ بتلك الإجابة وقال : "معقول؟! أنتم تعيشون في بيت كبير ولا يوجد لديكم خدم؟!".

"كان جدي يكره الخدم كثيراً، ويرى أنهم يقيدون حرية الإنسان في بيته".

"وهل كانت والدتك – رحمها الله – هي التي تقوم بأعمال البيت كلها؟".

"بالطبع لا.. أمي كانت تطهو لنا الطعام، وتغسل لنا الثياب. أما التنظيف فكانت تتولاه مدام سعدية".

"من مدام سعدية؟".

"إنها امرأة صعيدية، وهي الخادمة الخاصة بجارتنا السيدة أمل. كانت تأتي إلى منزلنا يوم الأحد من كل أسبوع، فتنظفه بالكامل، وتحصل على أجرها فور انتهائها من التنظيف".

تجهم وجه سامي، وهتف في ملك : "معقول أن تخفي عني أمراً مهماً كهذا حتى الآن؟!".

"لم أرَ أن ذلك بالأمر المهم".

"كيف تقولين هذا؟! على كل حال.. هل أتت هذه المرأة إلى منزلكم يوم الرحلة؟".

"لا؛ لأنها تأتي يوم الأحد، والرحلة كانت يوم الثلاثاء".

ما أن ذكرت ملك كلمة (الثلاثاء) هذه المرة، حتى سرت في جسد سامي رجفة وهو يتذكر تلك الجريمة المرعبة

التي تولى التحقيق فيها منذ ثلاث سنوات.. تلك الجريمة التي دفع ثمن حشر أنفه فيها غالياً.. غالياً جداً..[٢]

لم يعده إلى أرض الواقع إلا صوت ملك وهي تنادي عليه : "أستاذ سامي.. أستاذ سامي..".

"هه.. ماذا؟".

"فيم شردت؟".

"آسف يا ملك؛ لقد تذكرت شيئاً من الماضي.. على كل حال.. ماذا كنت أقول؟".

"كنت تسألني عن مدام سعدية".

"آه، نعم.. هل يمكنكِ أن تمديني ببعض المعلومات عنها؟".

"بصراحة.. أنا لست من النوع الذي يحب مخالطة الغرباء. كل ما يمكنني قوله عنها أنها سيدة رشيقة القوام، تبدو في العقد الثالث من عمرها".

"هل هي جميلة؟". سأل سامي.

أجابته ملك : "حسناً.. أظن أن بها لمسة من جمال لا يمكن انكارها".

---

[٢] ترقب صدور رواية (سفاح الثلاثاء).

عاد سامي بظهره إلى الخلف، واتكأ بساعده الأيمن على ذراع مقعده واضعاً قبضته أسفل ذقنه. وابتسم وهو يقول : "حسناً يا آنستي الصغيرة.. أظن أن هذا كل شئ حتى الآن".

انصرفت ملك بينما ظل سامي جالساً في مكانه يفكر بعمق. وبعد بضع دقائق من التفكير المتواصل، ارتسم شبح ابتسامة على ثغره، وتألقت عيناه وهو يقول : "الآن تبدأ الإثارة".

***

(٨)
سـارة

في مكتب مأمور السجن، جلس سامي وجهاً لوجه أمام سارة. كان وجهها باهتاً وعيناها تغالب النعاس.

قـال سـامي : "يبـدو أنـكِ لـم تنـامي جيـداً طـوال الليلـة الماضية".

ردت عليه قائلة : "أنا لم يغمض لي جفن، منذ ما حدث وحتى الآن".

"هل تعلمين ما التهمة الموجهة إليك؟.. القتل".

"أنـا لـم أقتـل أحـداً..". صـاحت سـارة، ثـم قالـت : "أنـا بريئة".

"لقد وجدوا زجاجة السم في غرفة نومك".

"أقسم أني لا أعلم عنها شيئاً".

"عليها بصماتك".

"بالطبع هذا مستحيل، إنها ليست بصماتي بكل تأكيد.. ولنفترض مجرد افتراض أنني القاتلة، فهل سأترك بصماتي على زجاجة السم؟! أم هل سأترك زجاجة السم في غرفتي أصلاً؟! ألم يكن بوسعي التخلص منها؟".

"لقد فكرت في ذلك قبل أن تفكري فيه يا سارة، ويبدو لي أن الاتهام الموجه إليكِ ساذج بالفعل. لهذا أريد منكِ أن تساعديني على كشف الحقيقة، وإثبات براءتك".

قالت سارة : "أنا رهن إشارتك،ولكن كيف أقدم لك يد المساعدة؟".

"فقط أجيبيني على بعض الأسئلة".

"وأنا مستعدة".

قال سامي : "أخبريني يا سارة، هل لديكِ أي أعداء؟".

"مطلقاً.. أنا فتاة مسالمة بطبعي".

"فكري جيداً يا سارة.. إجابة هذا السؤال بالذات قد تثبت براءتك".

أطرقت سارة لبعض الوقت، وفي النهاية قالت : "لا.. أنا متأكدة ألا أحد يكرهني أبداً.. دائرة معارفي ليست كبيرة على كل حال".

"حسناً.. دعينا من هذا السؤال.. أريد الآن أن أعرف من زاركم أول أمس – يوم وقوع الجريمة – ومن زاركم اليوم الذي قبله؟".

توقع سامي أن أكثر من عشر أشخاص على الأقل قد زاروهم في أحد اليومين، أو كلاهما.. لكنها فاجأته حين قالت : "لا أحد زارنا في هذان اليومان".

"مطلقاً؟!". سأل سامي.

فأجابته : "ولا حتى شخص واحد".

آنسة سارة.. أريد أن أسألك سؤالاً خاصاً، وأجيبيني عليه بصدق".

"سؤالاً خاصاً؟! حسناً.. سل ما شئت".

"لماذا تكرهين سعدية لهذه الدرجة؟".

اتسعت عينا سارة من الدهشة، وهتفت :"وكيف عرفت ذلك؟".

ابتسم وهو يقول بفخر : "لا تأبهي بهذا الشأن.. إن مهمتي هي معرفة الحقائق.. أخبريني فقط، لِمَ تكرهينها؟".

"إنها امرأة متطفلة.. تتدخل دائماً فيما لا يعنيها".

"ماذا تقصدين". سأل سامي.

"بعد وفاة أبي (رحمه الله).. عزمت أمي على أن تحيا لتربيتي فقط.. ولكن منذ أن أتت سعدية إلى منزلنا.. استطاعت إقناع أمي بأن تفكر بالزواج من جديد.. وأعادتها إلى حنين الماضي وإلى حُب المراهقة".

"أتعنين أن سعدية هي السبب في إعادة أواصر الحب بين أمك والعجوز رأفت؟!".

"نعم".

"هذا أمر مثير للاهتمام".

تابعت سارة قائلة : "ولا أخفيك سراً يا سيدي أنني لا أحب أن تتزوج أمي من أي شخص بعد وفاة أبي".

"إذاً فأمك كانت قد عزمت على الزواج من رأفت بالفعل؟!".

"مع الأسف، كلامك صحيح".

"ولكن منذ متى وسعدية تعمل عندكم؟".

"منذ حوالي ثلاثة أشهر".

"أتظنين أنها هي من دسّت السم لرأفت في الكعكة؟".

"مستحيل يا سيدي".

سأل بدهشة : "ولِمَ لا؟".

"لأنها استأذنت من أمي أن تذهب لتزور أقاربها في الصعيد، وستمكث هناك لبعض الوقت، وكان ذلك في صبيحة يوم الاثنين – أي قبل الحادثة بيوم – بينما صنعت أمي تلك الكعكة في مساء ذلك اليوم، أي بعد ذهاب سعدية بساعات".

"إذاً سعدية في الصعيد الآن؟".

"نعم، وقد سافرت إلى هناك قبل هذا الحادث بيوم".

غمغم سامي قائلاً : "كلما أظن أنني اقتربت من حل هذا اللغز، أكتشف أنني أبتعد أكثر عن الجواب الصحيح".

قالت سارة : "هل تتحدث لي؟".

"لا.. لقد كنت أحدث نفسي".

ثم صمت لبرهة قبل أن يعاود سؤالها : "ألم تخبركم سعدية عن عنوانها في الصعيد؟".

"لا أعلم.. ربما أخبرت أمي.. لكنها لم تخبرني أي شئ".

"حسناً يا سارة.. هذا كل شئ حتى الآن".

"هل ستساعدني حقاً؟".

"لا تقلقي يا سارة.. لن يهدأ لي بال أو يغمض لي جفن قبل أن أكتشف الحقيقة، وأثبت براءتك".

***

(٩)
أمـل

في المستشفى العام بالإسكندرية، نظر سامي إلى الطبيب المسئول عن حالة السيدة أمل وسأله :

"هل هي بخير؟".

أخبره الطبيب أنها حين أتت إلى المشفى كانت تعاني من صدمة عصبية شديدة، لكنها استجابت للعلاج بشكل مذهل، وهي تسير على الطريق الصحيح نحو الشفاء.

سأله سامي : "هل يمكنني التحدث معها قليلاً؟".

قال الطبيب : "إنها في كامل وعيها.. ولا أجد أن هناك ما يمنع ذلك".

سارا معاً إلى نهاية الدهليز حيث الغرفة التي توجد بها السيدة أمل.

دخل الاثنان الغرفة، واطمئن الطبيب على حالة السيدة أمل، ثم عرّفها بالمحقق سامي، وأخبرها أنه أتى إليها ليساعدها، ثم تركه معها، وانصرف.

كانت تلك الغرفة كبيرة، بها ثمانية أسرة، مشغول منهم خمسة، أولهم هو السرير الذي توجد عليه السيدة أمل.

قال سامي : "سيدة أمل...".

قاطعته قائلة : "كيف حال سارة؟".

"لا تقلقي عليها، إنها بخير".

"لا.. هي ليست بخير.. أنا أشعر بها".

"هل تسمحين لي أن أتحدث معكِ قليلاً".

نظرت إليه باحتقار وقالت : "ألا تشعر بالخجل؟ تريدنا أن نجلس هنا نتسامر بينما ابنتي سارة وحيدة خائفة في سجن كئيب مظلم؟".

"اهدئي يا سيدتي، أنا هنا للمساعدة، وبالمناسبة.. أنا لم آتِ هنا للسمر؛ فليس لدي وقتٌ لذلك.. أنا هنا لأنني أريد أن أعرف القاتل الحقيقي.. والهدف من كلامي معك أنني أريد أن أكشف بعض التفاصيل الهامة في هذه الجريمة والتي أظن أنك تعلمينها".

هدأت السيدة أمل قليلاً، وقالت له : "أرجو أن تعذرني يا أستاذ سامي؛ فأنا سيدة قُتل حبيبها، واتهمت ابنتها بقتله".

"أنا أقدر شعوركِ تماماً يا سيدتي، وأعلم أن سارة بريئة من تهمة القتل هذه".

"سارة فتاة رقيقة جداً.. لا يمكنها أن تؤذي نمله، فكيف تقتل إنساناً؟!".

"لنترك الحديث عن سارة قليلاً، ولنتحدث قليلاً عن سعدية".

"سعدية؟ الخادمة؟ ولكن ما علاقتها بالموضوع؟".

"سوف نعلم إن كان لها علاقة بالموضوع أم لا".

"من الآن يا حضرة المحقق يمكني أن أخبرك أنها ليس لها علاقة بتلك الجريمة أبداً".

"ولِمَ تقولين ذلك؟".

"إنها متدينة جداً، أراها دائماً تصلي الفروض في أوقاتها، وتقرأ القرآن، ولا تكذب أبداً.. أضف إلى كل ذلك أنها لا تملك أي دافع لقتل رأفت أو زوجة ولده".

"نسيتي أن تقولى أنها كانت بعيدة كل البعد عن المنزل يوم صنعتي الكعكة، أي أنها لا يمكن أن تكون قد دسّت السم بها بأي حال من الأحوال".

"كيف علمت ذلك؟".

"أخبرتني سارة".

سألته بلهفة شديدة : "هل رأيتها حقاً؟ كيف حالها؟ هل هي بخير؟ هل هي خائفه؟ أرجوك صارحني ولا تكذب عليّ".

"على رسلكِ قليلاً يا سيدتي.. إنها بخير لا تقلقي، كنت عندها خلال نصف ساعة فقط".

"أريد أن أرها.. أرجوك".

"قريباً جداً يا سيدتي.. سوف تكون ابنتك بين أحضانك إلى الأبد".

"أرجو ذلك يا سيدي.. أرجو ذلك".

فقال سامي : "من الذي اقترح عليكِ صنع الكعكة للسيد رأفت؟".

"كانت فكرة سعـ...".

أمسكت عن الكلام فجأة وقد اتسعت عيناها من فرط الدهشة، وقالت له : "ولكن كيف علمت أنها لم تكن فكرتي؟!".

ابتسم وهو يقول : "لا عليكِ.. إنه عملي.. كانت فكرة سعدية إذاً؟".

تنهدت وقالت : "نعم.. كانت فكرة سعدية".

"هل يمكنكِ أن تخبريني ماذا قالت لك تماماً؟ ولماذا كعكة التفاح بالذات؟".

قالت له : "اتصلت بي إلهام يوم الاثنين لتخبرني...".

"لتخبرك أن لمياء أتت لزيارتهم.. أنا أعلم كل هذا، أريد معرفة ماحدث بعد عودتك من منزلهم؟".

"عدت من منزل رأفت في حوالي الساعة العاشرة والنصف من مساء تلك الليلة، وعلمت أنهم ذاهبون لرحلة على الشاطئ في اليوم التالي، واتصلت سعدية بي بعد أن عدت إلى المنزل بحوالي خمس دقائق".

"ولِمَ اتصلت بكِ في هذا الوقت؟".

"قالت إنها تريد الاطمئنان عليّ".

"حسناً.. تابعي لو سمحتي".

"بعد أن تجاذبنا أطراف الحديث لبعض الوقت، وأخبرتها أنني عدت لتوي من منزل رأفت، وأنني علمت أنهم ذاهبون إلى الشاطئ. فقالت لي : "وهل سيذهب السيد رأفت معهم أم لا؟". فأجبتها بأنه سيذهب معهم. فقالت لي : "لما لا تصنعين له هدية؟ إنك بذلك توطدين أواصر محبتكِ في قلبه". وحين سألتها ماذا يمكنني أن أصنع له، اقترحت عليّ أن أصنع له كعكة التفاح التي يحبها كثيراً.

فقلت لها أن هذه فكرة رائعة، وودت لو كانت موجودة لتساعدني في عملها. فقالت لي : "أنا آسفة جداً.. لكن ربما هكذا أفضل؛ لأن هذا سيسمح لكِ بأن تجعليه يتذوق الكعكة من يديكِ. وبالمناسبة سوف تجدين السكر الخاص بعمل الحلويات في خزانة المطبخ". ثم انتهت المكالمة بعد ذلك".

فقال سامي : "وبالطبع قمت وصنعت كعكة التفاح؟".

أومأت برأسها إيجاباً فقال : "سيدة أمل.. هل أنت معتادة على دخول المطبخ؟".

"دائماً ما كان لي خدم في البيت خاصة وأن والدي كان دائماً ما يزعم أن دماً ملكياً يسري في عروقه، ولهذا فقد كان دائماً متكبراً.. وقد منعني من الزواج من رأفت

لمجرد أنه ليس من الأغنياء وأصحاب النفوذ، وبعد أن تزوجت من ربيع والد سارة كان هو أيضاً من أصحاب الثراء الفاحش وكنا نعيش في بيت أشبه بالقصر وكان لدينا الكثير من الخدم، حتى بعد أن توفي زوجي منذ ما يقرب من أربع سنوات، وعدت إلى بيت أبي القديم".

"ولماذا لم تمكثي في بيت زوجك بعد أن توفي؟".

"كان زوجي قد تزوج من امرأة أخرى سراً وأنجب منها ولداً وقد كتب له معظم ما يملك، ولم يترك لنا سوى عمارة واحدة في مدينة نصر، نعيش من إيجارها الذي يأتينا شهرياً.. لكن هذا ليس موضوعنا".

"نعم.. بالطبع، إذاً أنت غير معتادة على دخول المطبخ منذ الصغر وحتى الآن؛ فكيف إذاً صنعتِ كعكة التفاح؟".

فأجابت : "لقد علمتني سعدية كيفية صنعها منذ أن قدمت إلى منزلي؟".

"هذا يفسر الكثير".

ثم نهض من مكانه وهو يقول : "سؤال أخير يا سيدتي.. متى تخلدين إلى النوم في الأيام العادية؟".

"أنا أنام في الغالب قبل التاسعة والربع مساءاً، لكن تلك الليلة كانت استثنائية بالطبع".

"حسناً يا سيدتي، هذا كل شئ حتى الآن".

والتفت مغادراً، لكنها أمسكت يده بكلتا يديها وقالت بلهجة أشبه ما تكون بالتوسل : "أرجوك سيدي المحقق أن تكشف الحقيقة بسرعة، وأنقذ ابنتي، فلم يعد لديّ في هذا العالم سواها".

ابتسم وهو يربت على يدها بحنان قائلاً : "لا تقلقي.. سأبذل قدر ما أستطيع".

***

(١٠)
مـازي

جلس سامي أمام راضي عبد الله وكيل النيابة وأمامه كوب من القهوة.

قال له وكيل النيابة : "ما الذي أتى بك هذه المرة يا سامي؟".

كانت نبرته قاسية بعض الشئ. فقال سامي وقد شعر بالإحراج : "لن أطيل عليك يا سيدي، أريدك فقط أن تأمر بتفتيش منزل السيدة أمل من جديد و...".

"اسمع يا سامي، لقد أمسكنا بالمجرم، وكل الدلائل تشير إلى أن سارة هي المجرم الحقيقي في هذه القضية، وأنصحك أن تشغل وقتك في شئ مفيد".

قام سامي مغضباً، ورمق راضي بيه بنظره حادة، ثم انصرف دون حتى أن يحييه.

***

في منزل عائلة المليونير رأفت، جلس سامي ينتظر الأستاذ مازي رأفت. ولم يطل انتظاره كثيراً حتى أطل عليه الأستاذ مازي، وكان الحزن بادٍ عليه بشكل ملحوظ. عرفه سامي بنفسه، فرحب به مازي بحفاوة.

قال سامي : "إن سمحت لي فأنا أريد أن أتحدث معك قليلاً".

"لا بأس.. إن كان ذلك فيه مصلحة للإمساك بالقاتل الحقيقي".

"إذاً.. أنت تعتقد حقاً أن سارة ليست هي القاتلة؟".

"بصراحة أشك في ذلك.." قال مازي، ثم أردف : "إنني لا أتصور أن فتاة بمثل رقة سارة تقدم على عمل ذلك".

ابتسم سامي وهو يقول : "يسعدني أن أؤكد لك أن سارة ليست هي الفاعلة".

"هل أنت متأكد مما تقول يا حضرة المحقق؟".

"بنسبة ألف بالمائة".

"ولكن من لديه مصلحة في قتل أبي وزوجتي؟".

"أنا أسعى للإجابة وأظنك تمتلك الكثير لتخبرني به".

"في سبيل كشف الحقيقة ومعاقبة المجرم على فعلته، أنا مستعد لأدلي لك بكل ما تريد معرفته، حتى ولو كان فيه كشف لبعض الأسرار".

"حسناً يا أستاذ مازي.. هل تعرف سعدية؟".

"سعدية؟ أتقصد الخادمة؟".

"أجل.. ماذا تعرف عنها؟".

"لا شئ سوى أنها شابة ممتازة تقوم بعملها على أكمل وجه".

"هل تظن أنها يمكنها أن ترتكب جريمة قتل كهذه؟".

"سعدية؟! بالطبع لا؛ إنها متدينة ورقيقة ولا يمكنها قتل بعوضة".

قال سامي لنفسه "أظن أن اللغز على وشك أن يزداد تعقيداً". ثم نظر إلى مازي وقال له : "أستاذ مازي.. هل كانت زيارة شقيقتك لكم قبل هذه الرحلة مصادفة؟".

"لا لم يكن كذلك؛ لقد اتصلت زوجتي (رحمها الله) بها لتدعوها للذاهب معنا إلى الشاطئ".

"وهل وافقت؟".

"نعم، ورحبت بذلك أشد ترحيب".

"ومتى كان ذلك؟".

"عشية يوم الأحد".

"هل كانت سعدية في منزلكم هذا اليوم؟".

"نعم، لكني لا أعلم لِمَ تهتم أكثر من اللازم بسعدية؟".

"ربما لأنها الشخص الوحيد الغريب في هذه القضية، ولأنها هي الوحيدة البعيدة عن الشبهات أكثر مما ينبغي".

ارتسمت على وجه الأستاذ مازي ابتسامة ساخرة وقال بنبرة حملت نفس المعنى : "اعذرني، لكني لا أفهم وجهة نظرك الغريبة هذه، إن ما تقوله الآن ينفي التهمة بالكلية عن سعدية".

"ربما تكون سعدية بريئة في النهاية، بصراحة ظننت أن هذه الجريمة ستكون سهلة في البداية، لكنني اكتشفت أنها معقدة أكثر من اللازم، ولا أخفيك سراً، أظن أنني مشتت قليلاً".

"أظن أن ذاك المجرم قام بتلك الجريمة باحترافية شديدة؟".

"الحق ما تقول يا أستاذ مازي، لكني لن أستسلم، ليس بتلك السهولة".

"أنـا أعلـم أن شـقيقتك لميـاء وزوجهـا يقطنـون دميـاط الجديـدة فـي الوقـت الحـالي، لكنـي أعلـم أنهـم انتقلـوا إلـى هنـاك منذ حوالـي سبع سنوات، إذاً أين كانوا يعيشون قبل ذلك؟".

"إن كامـل (زوج أختـي) هـو فـي الأصـل مـن أبنـاء محافظـة دميـاط، مـن قريـة تسـمى (أم الرضـا) وكانـا يعيشـان فيهـا قبـل انتقالهمـا للعـيش فـي مدينـة دميـاط الجديدة".

"ولكن كيف تعرّف على لمياء من البداية؟".

"لا أعلم، أو لا أتذكر على وجه الدقة".

"لا بأس، ولكن هل يمكنك أن تخبرني كيف وافق والدك (رحمه الله) على زواج ابنته من مدرس فقير".

"في البداية لم نعلم أنه فقير، لكننا ظننا أنه...".

ثم أمسك عن الكلام فجأة، ودقق النظر فـي وجـه سـامي، وهو يسأله : "كيف علمت أنه كان فقيراً؟!".

"الأمر بسيط.. لكن لا تأبه بذلك الآن.. فقط أجبنـي علـى ذلك السؤال".

"لقد أخبرنا أنه سليل عائلة ثرية، وقدم لوالدي مستندات تثبت ملكيتـه لأربعين فداناً زراعياً بالإضـافة إلـى أحد

عشرة عمارة، خمسة منهم في المعادي، وثلاثة في الزمالك، وثلاثة في مدينة نصر، ثم اكتشفنا بعد أن تم الزواج أنه لا يملك أي شئ سوى منزله في قرية (أم الرضا)".

"وهل تلك المستندات كانت مزورة؟".

"بل للأسف كانت حقيقية".

"حقيقية؟!! كيف ذلك؟!!".

"لقد اتفق مع أصحاب تلك الأراضي الزراعية والعمارات أن يكتبوا أملاكهم له بيعاً وشراءاً بتاريخ قديم، ويسجلوها له في (الشهر العقاري). ولكي يضمنوا حقوقهم جعلوه يوقع على شيكات بنكية قيمتها أكبر من قيمة تلك الأملاك".

"ألم يخشوا من سفره للخارج بعد أن يبيع تلك الأملاك؟".

"لقد احتاطوا من ذلك بطريقة أو بأخرى".

"ولكن لِمَ فعل كل هذا؟".

"سأله أبي نفس السؤال حين اكتشف الحقيقة، فأجابه أنه فعل كل هذا لأنه يحب لمياء، وكان مستعد بأن يضحي بحياته من أجلها".

"وكيف كان تصرف والدك؟".

"إن والدي يؤمن بالحب إيماناً مطلقاً، وقد شعر بأن كامل يحب أختي حباً لا حدود له، ولذا فقد سامحه وأعجب بذكائه الشديد بل وأثنى عليه كثيراً".

"وهل تبادله أختك نفس الحب؟".

"بل هي تعشق التراب الذي يطأه بأقدامه".

ابتسم سامي وقال في هيام : "حقاً.. ما أجمل الحب".

ثم استطرد كلامه قائلاً : "هل لديك صورة لزوج أختك هذا؟".

"حسناً أظن أن لدي صورة لزفافهما".

"أريد أن أراها إذا سمحت لي بذلك".

"نعم بالطبع.. لحظة واحدة".

خرج مازي من الغرفة وعاد مسرعاً، وكان يحمل بيده (ألبوم صور). أخذ يقلب صفحات ذلك الألبوم إلى أن وصل إلى صورة زفاف كامل ولمياء.

أعطى الألبوم إلى سامي مشيراً إلى صورة الزفاف.

نظر سامي إلى الصورة بتمعن شديد، وكان بها عريس طويل القامة نحيف الجسد، ببذلة سوداء قاتمة، له وجه

حليق، وشعر بني اللون، يميل إلى الطول قليلاً. وكان ممسكاً بيد عروسه والتي لم تكن على درجة كبيرة من الجمال، كما أنها سمينة بعض الشئ.

أخرج سامي تلك الصورة من مكانها في الألبوم، وقربها من عينيه متمعناً فيها. وتساءل في نفسه "أين رأيت هذا الرجل من قبل؟". ثم قال لمازي : "أتسمح لي أن أحتفظ بهذه الصورة؟".

حكّ مازي رأسه قائلاً : "في الواقع..!".

كان ذلك معناه أنه يرفض أن يعطيه إياها، فقال سامي : "سوف أعيدها إليك عما قريب.. أنا أعدك".

"أنا آسف جداً.. لكني أرفض ذلك بشدة".

"أوه.. حسناً.. بصراحة لم أتوقع ذلك منك أبداً".

قال مازي : "أرجو أن تعذرني يا حضرة المحقق، لكنك في الواقع شخص غريب، ولا يمكنني إعطاؤك صورة أختي بهذه البساطة".

"لا عليك.. أنا أتفهم ذلك". قالها سامي وهو يعيد الصورة إلى مكانها في الألبوم. ثم قال بعد برهة من الصمت : "هل تسمح لي بكوب من الماء؟".

"نعم.. بالطبع".

وخرج ليحضر كوب من الماء.. وما أن خرج حتى أخرج سامي هاتفه المحمول، والتقطت بكاميرته لقطة لتلك الصورة. ثم دسّ الهاتف في جيب سرواله بسرعة، وبعد عدة لحظات، أتى مازي بكوب الماء، فأخذ سامي منه جرعة واحدة فقط، ثم نهض وحيا مازي وانصرف.

***

(١١)
أحداث هامة

خرج المحقق سامي من منزل مازي رأفت

متجهاً إلى قسم الشرطة، وهناك قابل العقيد

سعد الدين شيراز.

وأخبره بأنه يريد خبيراً في الحاسوب لأمر هام جداً.

"لك ما تريد يا سامي". قالها العقيد سعد ثم استطرد : "ومتى تريده؟".

"الآن إن استطعت".

"اهدأ قليلاً يا سامي، الأمور لا تسير بسرعة هكذا، وافني اليوم في المساء، وسأكون قد أحضرته لك".

وفي الثامنة والنصف من مساء تلك الليلة، أتى مهندس الحاسوب، وقام العقيد سعد وقدمه إلى سامي قائلاً : "هذا هو مهندس الحاسوب العبقري سليم رشوان".

"أهلاً وسهلاً".

"سعيداً بمعرفتك يا حضرة المحقق".

كان سليم شاباً قريب السن من سامي، متوسط الطول أبيض البشرة يرتدي قميصاً أبيض وسروالاً أسود.

قال سامي وهو يعطي المحمول لسليم : "أريدك يا أستاذ سليم أن تقوم ببعض التعديلات على هذه الصورة، فهل تستطيع ذلك؟".

نظر سليم إلى الصورة الموجودة على شاشة المحمول وقال له : "بالتأكيد أستطيع، انه شئ تافه بالنسبة لي".

قالها ثم أخرج بطاقة الذاكرة من الهاتف المحمول، ووضعها في جهاز صغير بحجم عقلة الإصبع.

قال العقيد : "ما هذا الشئ الصغير الموجود في يدك يا سليم؟".

"إنه يسمى قارئ بطاقات الذاكرة يا سيدي".

قالها ثم وضع هذا الجهاز في الحاسوب فظهرت محتويات بطاقة الذاكرة على الشاشة. بعد ذلك فتح برنامجاً وفتح تلك الصورة داخله، وقال لسامي : "ما التعديل الذي تريده بالضبط يا حضرة المحقق؟".

قال سامي : "أريدك أن تحول لون شعر هذا الرجل إلى الأسود، وأن تجعله – أي الشعر – أقصر قليلاً".

وما كادت تمر بضع ثوان حتى نفذ سليم الأمر باحترافية شديدة، فأثنى سامي على عمله، ثم قال : "أريدك الآن أن تجعل جسده النحيف هذا أضخم قليلاً، وأقصر".

"هكذا يا سيدي؟".

"أضخم قليلاً بعد.. نعم، هكذا بالضبط".

"هل من شئ آخر؟".

قال سامي : "نعم.. هلا أضفت له شارباً أسود رفيع؟".

أظهر سليم على الشاشة عدة أشكال للشوارب، وقال لسامي : "اختر شكل الشارب يا سيدي".

اختار سامي شارباً أسود رفيع يشبه شارب (أنور وجدي).

"لحظة واحدة". قال سليم. وبالفعل لم تكد تمضي لحظة حتى كان الشارب على وجه كامل. وبعد انتهاء تلك التعديلات، نظر سامي إلى الصورة وقال لسليم بحماس : "أنت مذهل يا سليم، أحسنت حقاً".

وألقى العقيد سعد نظرة على تلك الصورة ، وهتف : "يا إلهي.. هل هذا ممكن؟!".

ابتسم سامي وهو يقول له : "ما رأيك؟".

"إنه يشبهه تماماً".

"ولكن علينا أن نتأكد يا سيادة العقيد".

"إذاً نذهب معاً غداً إلى السجل المدني".

"لكن قبل ذلك أريد منك أمراً أكثر أهمية".

"وما هو؟".

"أريدك أن تأتي معي لإعادة تفتيش منزل السيدة أمل.. وهذه المرة بدون معرفة النيابة".

"ولكن هذا مخالف للقانون".

"لا تقلق بهذا الشأن".

فأضاف العقيد : "ومن أدراك أنها ستقبل أن نفتش منزلها دون إذن من النيابة".

"أنا سأتصرف".

وانطلقا على الفور بسيارة العقيد سعد إلى المستشفى العام، وهناك قابلا الطبيب المعالج للسيدة أمل والذي أخبرهما أنها غادرت المستشفى منذ بضع دقائق بعد أن تحسنت حالتها.

خرجا من المستشفى متجهين إلى منزل السيدة أمل، وحين صعدا سلم المنزل، وجدا السيدة أمل لم تضع

المفتاح بعد في قفل الباب. نظرت إليهما وقالت : "أستاذ سامي.. ما الذي أتى بك إلى هنا الآن؟".

"سيدة أمل.. هل تسمحين لنا بتفتيش الشقة من جديد؟".

"لكن الشرطة قد فتشتها قبل ذلك".

"لكني لست من رجال الشرطة كما تعلمين".

تنهدت وقالت : "إن كان ذلك في مصلحة ابنتي، فلا بأس".

فتحت باب شقتها ودلفا إلى الداخل خلفها، واتجه سامي مباشرة إلى المطبخ، وبالطبع تبعه العقيد سعد والسيدة أمل. نظر سامي حوله لكل شئ تقريباً في المطبخ، ثم أخرج قفازاً مطاطياً من جيب سرواله وارتداه، بعدها أمسك مرطباناً زجاجياً كُتِب عليه (سكر ناعم)، وسأل السيدة أمل : "هل هذا هو المرطبان الذي أخبرتكِ سعدية أنه في خزانة المطبخ؟".

"نعم هو.. لماذا؟".

تجاهلها تماماً وهو يخرج من جيب سرواله كيساً بلاستيكياً، ويضع ذلك المرطبان بداخله، أعطاه إلى العقيد وقال : "أريدك أن ترسل هذا إلى المعمل الجنائي على الفور".

سألت السيدة أمل في حيرة : "هلّا تفضل أحد وأخبرني ماذا يحدث بالضبط؟".

ابتسم سامي وقال لها : "لو صح ظني يا سيدتي فإن المجرم الحقيقي سيكون في السجن مكان ابنتك عما قريب.. قريب جداً".

خرج سامي ومعه العقيد من منزل السيدة أمل، وقال له سامي وهما يركبان السيارة : "أريدك أن ترسل هذا المرطبان إلى المعمل الجنائي على الفور، لرفع البصمات من عليه، وتحليل محتواه".

"حسناً".

"ولكن لا تنسى.. بدون اللجوء إلى النيابة.. لأن نتيجة رفع البصمات وتحليل محتوى المرطبان لن يشير إلى هوية القاتل الحقيقي.. وإن كان ما أفكر فيه صحيحاً.. فإنه سيثير الشكوك حول السيدة إلهام وحدها".

فقال العقيد : "وأنت ترى أن هذا ليس صحيحاً؟".

"سوف نرى إن كان صحيحاً أم لا.. ألست تقول أن كبير خبراء المعمل الجنائي هو صديق لك؟".

"تعني الدكتور محمود عبد السميع؟.. هو كذلك بالفعل".

"إذاً اطلب منه أن يهتم بهذا المرطبان، ويشرف على تحليل محتواه بنفسه.. لا أظن أنه سيتردد في إسداء تلك الخدمة لك".

"حسناً يا سامي، سوف أفعل ما تريد".

"لكن أولاً يجب أن نذهب إلى مكان ما".

"إلى أين هذه المرة يا سامي؟".

"إلى منزل عائلة رأفت".

***

(١٢)
المجرم

طلب سامي من العقيد أن يهاتف كلاً من (مازي، وابنته ملك، وكامل وزوجته لمياء، والسيدة أمل، ووكيل النيابة) ويطلب منهم القدوم إلى مكتبه في أمر هام.

واستجاب العقيد سعد إلى سامي، وفعل ما أراد. وفي المساء، اجتمع هؤلاء الستة في مكتب العقيد.

قال وكيل النيابة : "ما الذي حدث؟ لماذا طلبت رؤيتي يا حضرة العقيد؟".

وقال مازي : "أرجوا أن يكون الأمر مهماً؟".

فقال العقيد : "صبراً يا سادة، سوف تعلمون كل شئ حالاً".

وفي هذه اللحظة، دخل سامي إلى المكتب، فقال العقيد : "المحقق سامي لديه كلام كثير يود أن يقوله لكم".

صاح وكيل النيابة بنفاذ صبر : "هل جمعتنا هنا من أجل أن نستمع لهذا الفتى؟!".

فقال سامي بتحدِ واضح جداً : "هذا الفتى – الذي هو أنا – استطاع أن يكتشف ما لم تستطع أنت أن تكشفه يا حضرة وكيل النيابة المحترم".

قال وكيل النيابة : "أتعلم يا سيادة العقيد أنني أنا المخطئ حين قبلت تلك الدعوة من الأساس".

فقال سامي : "أرجو أن تصمت وتسمعني قليلاً.. لقد توصلت للمجرم الحقيقي".

قال وكيل النيابة : "لكننا توصلنا إليه بالفعل من قبل.. إنها سارة".

صاحت السيدة أمل : "ابنتي ليست مجرمة، ابنتي بريئة من تلك التهمة براءة الذئب من دم بن يعقوب".

وقال سامي : "أنتم لم تتوصلوا إلى أي شئ يا حضرة الوكيل، أنتم فقط أوقعتم بفتاة بريئة.. فتاة ليس لها أي صلة بجريمة القتل من قريب أو بعيد".

قالت ملك : "ومن هو المجرم إذاً يا سيادة المحقق؟".

"يؤسفني أن أخبركم يا سادة بأن القاتل الحقيقي موجود بيننا الآن".

قالت السيدة لمياء : "معقول؟!".

وقال مازي : "ولكن من هو؟".

فقال سامي : "حتى لا أطيل عليكم.. القاتل هو....".

وصمت لبرهة يترقب فيها وجوه الحاضرين. ثم استطرد : "القاتل الحقيقي.. هو أنتِ يا سيدة أمل".

شهق الجميع في حين قالت السيدة أمل : "أنا؟!!! لا.. هذا غير صحيح.. أقسم أنني لم أكن لأقدم أبداً على أذية رأفت".

فقال سامي : "ومع ذلك فقد قتلتِه".

"أقسم بالله العظيم أنني بريئة".

فقال سامي : "وأنا أصدقكِ".

فصاح مازي : "ألم تقل قبل قليل أنها هي التي قتلته؟".

"أجل، وما زلت عند رأيي".

"إذاً كيف تقول أنها بريئة؟!".

ابتسم سامي وقال : "لأنها كذلك بالفعل".

صاحت به لمياء : "هل أنت سكران أم أحمق؟!".

رد عليها ببرود مستفز : "بل أنا المحقق سامي الجمل!".

ارتسم شبح ابتسامة على ثغر العقيد، بينما نظر سامي نحو كامل وقال : "أستاذ كامل.. هل تسمح لي؟".

"أسمح لك بماذا؟".

"بأن أخبرك أنك إنسان حقير ووضيع وتافه.. وأحمق".

نظر إليه مشدوها، ثم قال له : "كيف تجرؤ على أن تسبّني بهذا الشكل؟".

وقال وكيل النيابة بغضب : "هذا إلزم حدودك يا هذا".

وقال كامل : "أنا لن أسكت عن...".

قاطعه سامي هاتفاً : "أصمت يا بن الكلب".

اتسعت أعين الحاضرين فجأة، ثم رموا جميعاً سامي بنظرة مليئة بالغضب، لقد تمادى سامي كثيراً هذه المرة.

وثارت ثورة وكيل النيابة وصاح مغضباً : "هذا يكفي.. كيف تجرؤ يا هذا على أن تسب أخي أمامي؟".

شهق الجميع من فرط الدهشة، وشعر وكيل النيابة أنه قد تم الإيقاع به فقال : "نعم، أنا الشقيق الأصغر لكامل".

"نظرت لمياء لزوجها قائلة : "لم تخبرني أن لديك أي أخوة من قبل".

"لم تأت فرصة لذلك".

فقال سامي : "وهل من الصواب يا راضي بيه أن يحقق المجرم في جريمته؟!".

"ماذا تعني".

صاح سامي بلهجة ملأها الجد : "أعني أنك المجرم يا راضي، أنت وأخوك كامل، والشريك الثالث بالطبع".

شهق الحاضرون من جديد، وقال كامل : "ما هذا الهراء الذي تتفوه به؟! ألم تقل منذ لحظات بأن القاتلة هي السيدة أمل؟ فكيف تكون هي القاتلة وتتهمنا أنا وأخي بهذه التهمة البشعة؟! ومن هو الشريك الثالث هذا؟!".

ابتسم سامي وقال : "كنت أنتظر هذا السؤال بفارغ الصبر.. سيد (كامل)، اسمح لي أن أخبرك أن الإجابة عن سؤالك".

وبدأ سامي يقص عليهم ما حدث : "ذهبت السيدة أمل إلى منزل السيد رأفت عشية يوم الاثنين لترحب بصديقتها لمياء، التي قدمت من مدينة (دمياط الجديدة)، أليس كذلك يا سيدة أمل؟".

"بلى، هذا صحيح؟".

"وعادت إلى منزلها في العاشرة والنصف من مساء هذه الليلة، وبعد بضع دقائق اتصلت بها خادمتها سعدية تليفونياً من بلدتها في الصعيد".

قال مازي : "الصعيد؟!".

قال سامي : "نعم يا أستاذ مازي.. لقد سافرت سعدية في وقت مبكر من صبيحة يوم الاثنين إلى بلدتها في الصعيد، وفي المساء هاتفت السيدة أمل تليفونياً لتطمئن عليها، ودار بينهما حوار طويل، وأثناء هذا الحوار قالت سعدية : "هل ذهبتِ إلى منزل السيد رأفت اليوم؟". فأجابتها السيدة أمل بأنها عادت لتوها من هناك، ثم سألتها كيف عرفت ذلك، فأخبرتها سعدية أنها خمنت ذلك".

فقال سامي : "بعد ذلك، اقترحت سعدية على السيدة أمل أن تصنع للسيد رأفت كعكة التفاح التي يحبها كثيراً؟ لأن ذلك سيجعله يحبها أكثر".

نظر الجميع إلى السيدة أمل التي احمر وجهها خجلاً في حين تابع سامي : "ورحبت السيدة أمل كثيراً بهذا الاقتراح، فأخبرتها سعدية أن مرطبان السكر الناعم الخاص بالحلويات موضوع في خزانة المطبخ".

قالت السيدة لمياء : "وماذا في ذلك؟ كل هذا الكلام ليس له معنى".

"أوتظنين ذلك؟".

"بلا أدنى شك".

"حسناً.. دعيني أكمل كلامي لو سمحتي.. كما كنت أقول.. بدأت السيدة أمل في صنع كعكة التفاح، وحين انتهت من صنعها كان الوقت قد تأخر كثيراً، ولذلك انتظرت للصباح حتى ترسل الكعكة للسيد رأفت. ولأن سعدية لم تكن موجودة حينها، فمن الذي سيوصل تلك الكعكة؟ بالطبع لا يمكن أن توصلها بنفسها، فهي تشعر بالخجل الشديد، لذا لم يكن أمامها سوى أن ترسل سارة ابنتها لتعطيه إياها. وحين وصلت سارة إلى منزل السيد رأفت كان الأستاذ كامل وزوجته وولده قد رحلا بحجة أن هناك أمر طارئ في المدرسة التي يعمل بها الأستاذ كامل. وأظن أنكم جميعاً تعلمون ما حدث بعد ذلك".

قال مازي : "ماذا تريد أن تقول بالضبط؟ أنا لم أفهم وجهة نظرك بعد".

"لقد سألت نفسي.. من الذي وضع السم للسيد رأفت والسيدة إلهام داخل الكعكة؟ فوجدت أنها لا يمكن أن تكون سعدية؛ لأنها سافرت قبل صُنع الكعكة بساعات.

كذلك لا يمكن أن يكون كامل أو زوجته أو ولدهما؛ لأنهم غادروا قبل أن تأتي سارة بالكعكة إلى السيد رأفت. وأيضاً لا يمكن أن يكون الأستاذ مازي؛ لأنه رجل ذكي كم لاحظت عليه، وحتى إن أراد أن يفعل ذلك لسبب أو لآخر، فلن يفعله بهذه الطريقة التي تثير الشبهات. كذلك ملك وأدهم مازالا صغاراً. إذاً لم يتبقى سوى شخصين اثنين فقط، وهما السيدة أمل وابنتها سارة، أكيد أن إحداهما هي من دسّت السم في الكعكة. وحين فتشت الشرطة، ووجدت زجاجة السم في غرفة سارة، وحين أثبتت أن البصمات على الزجاجة هي بصمات سارة. كانت التهمة قد التصقت بسارة تماماً. لكنني استغربت وتساءلت في نفسي "هل تكون سارة بهذا الغباء لتترك كل هذه الأدلة خلفها؟!". لهذا قررت أن أزورها في السجن، لا لآخذ منها بعض المعلومات كما زعمت، وإنما لأختبر ذكائها بنفسي. وتأكدت أنها فتاة غاية في الذكاء، وحتى لو ارتكبت مثل هذه الجريمة، فلا يمكن أن تترك وراءها أدلة بهذا الوضوح أبداً. ولذا لم يتبقى أمامي سوى السيدة أمل، مؤكد أنها من وضعت السم في الكعكة؛ لم يتبقى غيرها أصلاً. وحينها ذهبت إلى المستشفى واستجوبتها بنفسي، وحين قالت لي أن سعدية أخبرتها أن مرطبان السكر في الخزانة، خطرت ببالي فكرة، وهي أن السم ربما كان

موضوعاً في مرطبان السكر هذا. ولهذا أخذنا المرطبان وأرسلناه للمعمل الجنائي ليحلل محتواه ويرفع البصمات من عليه، وكان شكّي في محله، فقد أثبتت نتيجة تحليل المادة الموجودة بداخل ذلك المرطبان بأنه عبارة عن سكر مخلوط به مادة شديدة السمِّية، وبمطابقتها مع المادة الموجودة في الكعكة، تبين أنها نفس المادة. لذا فإن السيدة لمياء هي من وضعت السم بيدها للسيد رأفت والسيدة إلهام.. زوجتك يا سيد مازي، لذا فأنتِ القاتلة الفعلية يا سيدة أمل".

صاحت السيدة أمل وقد اغرورقت عيناها بالدموع : "يا إلهي".

فأسرع سامي قائلاً : "لكنكِ كنتِ مجرد أداة في يد المجرم الحقيقي".

قال مازي : "أتقصد سعدية؟".

"نعم يا أستاذ مازي، سعدية.. الشريك الثالث في تلك الجريمة، وهي التي وضعت تلك المادة السامة في السكر".

فقال وكيل النيابة : "وربما تكون السيدة أمل أو ابنتها سارة.. أنت لا تملك دليلاً على كلامك هذا".

"وهنا يأتي دور البصمات".

سأله الأستاذ مازي : "وهل وجدتم بصمات سعدية على المرطبان؟".

"لا.. وهذا ما دفعني للشك فيها؛ لأنها الوحيدة التي كانت تعلم أين يوجد مرطبان السكر.. لأنها هي التي وضعته في الخزانة، فلماذا إذاً لا توجد عليه بصمات يدها؟".

صاح مازي بشكل عفوي : "أنت عبقري حقاً يا أستاذ سامي".

قال وكيل النيابة : "ربما كانت سعدية ترتدي قفازات في يديها".

قالت السيدة أمل : "مستحيل.. لأن سعدية ليست من النوع الذي يرتدي القفازات أبداً".

قال العقيد مبتسماً : "أراك تدافع عن سعدية كثيراً يا راضي بيه!".

ارتبك وكيل النيابة وهو يقول : "يجب أن ننظر للموقف من كل الجهات".

فقالت السيدة أمل : "ولِمَ لم تنظر له سوى من جهة واحدة حين اتهمت ابنتي بتلك الجريمة؟".

وقال سامي : "هناك تفسير واحد فقط لعدم وجود بصمات سعدية على المرطبان، وهو أنها مسحت بصماتها من عليه، كما مسحت بصماتها أيضاً من فوق كل شئ في بيت السيدة أمل، أتدرون ما معنى هذا؟ هناك احتمال وحيد، وهو أن سعدية لديها سجل إجرامي سابق لدى الشرطة، وبالتالي لديهم بصماتها، وقد خشيت أننا إن عثرنا على بصماتها في منزل السيدة أمل فسنتعرف على هويتها ونمسك بها".

قال وكيل النيابة : "كلامك ربما يكون منطقياً بعض الشئ يا سامي، لكن دليلك هذا ضعيف جداً".

"ولكن معي دليل آخر وهو أقوى من أن تُكذبه يا راضي بيه".

"وما هو؟".

"معي سعدية".

"مستحيل!". قالها كامل.

سأله العقيد : "ولِمَ لا يا أستاذ كامل؟".

صمت كامل بعد أن احمر وجهه، فتابع سامي قائلاً بمنتهى الثقة : "الآن يُكشف المستور".

قالها وهو ينظر إلى العقيد الذي بدوره ضغط زراً على مكتبه، فندخل المجند الواقف على الباب.

"تمام يا فندم".

"أحضر المتهمة كريمة من الحجز".

بهت وجها كامل وراضي، في حين سأل مازي : "كريمة؟! كريمة من؟!".

"صبراً يا أستاذ مازي.. صبراً".

وخلال لحظات معدودة، طرق الباب، ودخل المجند يمسك بسيدة لها شعر أسود مموج، ووجه أبيض جميل، وقوام ممشوق.

دققت السيدة أمل النظر في وجه تلك الفتاة، وأحست أن هذا الوجه يبدو مألوفاً لديها.

قال المجند : "المتهمة كريمة يا فندم".

"حسناً.. اذهب أنت الآن".

"تمام يا فندم".

قال سامي : "تقدمي يا كريمة، أم أقول يا... سعدية!".

هتفت السيدة أمل : "يا إلهي.. إنها بالفعل سعدية.. لكنها تبدو مختلفة بعض الشئ".

"إنها ليست سعدية، إنها تدعى كريمة عباس الريفي، وقد تم اعتقالها أكثر من مرة بتهمة النصب والاحتيال".

قالت السيدة أمل : "إذاً كنتِ تخدعينني طوال هذا الوقت؟!".

وقال مازي : "ولكن كيف عرفت أن تلك المرأة المحتالة هي سعدية؟ هل هو مجرد تخمين؟".

"لا يا أستاذ مازي، أنا لا ألقي التهم جزافاً على الآخرين.. لقد أزالت سعدية – أقصد كريمة – بصماتها من فوق كل شئ في منزل السيدة أمل حتى لا تعلم الشرطة هويتها الحقيقية.. لكن لا توجد جريمة كاملة".

سأله وكيل النيابة : "ماذا تعني؟".

"لقد كانت سعدية تذهب يوم الأحد من كل أسبوع، لتنظف بيت السيد رأفت، أليس كذلك يا أستاذ مازي؟".

"أجل".

"ولقد نسيت تماماً أن تزيل بصماتها من فوق المكنسة الكهربية الموجودة في منزل السيد رأفت، ووجدنا نفس البصمات فوق المنفضة والممسحة، وحين طابقنا تلك البصمات بالبصمات الموجودة في ملفات الشرطة،

لاحظنا أنها مطابقة لبصمات محتالة سابقة تدعى كريمة عباس الريفي".

فقال وكيل النيابة : "لكن هذا لا يثبت أنها القاتلة".

نظر سامي إلى كريمة وقال لها : "أخبريني يا كريمة.. ألستِ أنتِ من وضع مرطبان السكر الناعم في خزانة المطبخ؟".

ارتبكت كريمة وهي تقول : "لا.. لست أنا".

"حسناً إذاً.. من الذي وضع ذلك المرطبان هناك؟".

"إنها سارة.. كانت تدخل المطبخ في أوقات كثيرة، وكانت تحب صنع الحلويات".

صاحت السيدة أمل : "إنها كاذبة.. سارة لم تكن تدخل المطبخ أبداً، ولا تستطيع أن تصنع أي نوع من الحلويات".

قال سامي : "اهدئي يا سيدة أمل". ثم نظر إلى كريمة وقال : "لقد أمدّتنا شركة الهاتف بتسجيل للمكالمة التي وردت إلى هاتف السيدة أمل مساء يوم الاثنين في الساعة العاشرة وثلاث وأربعون دقيقة، أتريدين سماعه يا كريمة؟". قال ذلك ثم ضغط زراً في هاتفه، فسمع الجميع تلك المحادثة التي دارت بينها وبين السيدة أمل

في تلك الليلة : ((سعدية : "هل ذهبتِ إلى منزل السيد رأفت اليوم يا سيدتي؟"

أمل : "أنا آتية من هناك لتوي، لكن كيف عرفتي ذلك؟!".

سعدية : "لقد خمنت ذلك فقط.. ولكن لماذا كنتِ هناك في هذا الوقت المتأخر؟".

أمل : "ابنته لمياء أتت إليهم اليوم للزيارة، وذهبت لأسلم عليها، وبالمناسبة.. إنهم سيذهبون معاً غداً للشاطئ".

سعدية : "حقاً؟ إنها أخبار رائعة.. اسمعي يا سيدتي.. إن هذه فرصتكِ الأكبر لتجعليه يحبكِ أكثر".

أمل : "كيف ذلك يا سعدية؟!".

سعدية : "يمكنكِ أن تصنعي للسيد رأفت كعكة التفاح التي يحبها كثيراً حتى يتناولها على الشاطئ، وستكون هذه مبادرةً طيبة منكِ".

أمل : "أتعلمين.. إنها فكرة رائعة".

سعدية : "إذاً ستنفذينها؟".

أمل : "بكل تأكيد".

سعدية : "حسناً سوف تجدين السكر الخاص بصنع الحلويات في نهاية خزانة المطبخ".

أمل : "ومن الذي نقله من موضعه؟".

سعدية : "لقد وضعته هناك بنفسي"..)).

وأغلق سامي تلك المحادثة.

شهق الجميع، وقالت السيدة أمل : "هل رأيتم؟ لقد كنت محقة".

وقال سامي : "ما رأيك في هذا يا كريمة؟".

ارتبكت من جديد وهي تقول : "هذا.. هذا ليس صوتي؟".

"حسناً يا كريمة.. في المحكمة سنأتي بخبير أصوات ليخبرنا إن كان هذا الصوت في التسجيل هو صوتك أم لا.. كما سيأتي خبير بصمات ليقول إن كانت تلك بصماتكِ أم لا؟".

بهت وجه كريمة من الخوف بينما قالت السيدة لمياء : "ولكن ما علاقة كل هذا بزوجي؟".

"أسمعوا هذا". وأعاد تشغيل جزء من المحادثة التي دارت على الهاتف بين السيدة أمل وكريمة.

((سعدية : "هل ذهبتِ إلى منزل السيد رأفت اليوم؟"

أمل : "أنا آتية من هناك لتوي، لكن كيف عرفتي ذلك؟!".

سعدية : "لقد خمنت ذلك فقط"..)).

واستطرد سامي قائلاً : "بصراحة أنا لم أقتنع بأنها خمنت ذلك، لأن السيدة أمل – كما قالت لي – اعتادت على النوم في حوالي الساعة التاسعة والربع مساءاً، وكريمة كانت تعلم ذلك جيداً. فكيف اتصلت عليها في هذا الوقت وعلمت أنها مستيقظة؟ ولهذا أدركت بأن لها شريكاً من داخل منزل السيد رأفت أبلغها بذلك، وبالتأكيد هذا الشريك سيتبع نفس الخطة التي اتبعتها كريمة، وهي أن يكون بعيداً تماماً عن مسرح الجريمة حتى يكون بعيداً عن دائرة الشبهات، وتذكرت حين أخبرتني ملك عن أن الأستاذ كامل قد ذهب قبل أن تأتي سارة بالكعكة ببضع دقائق، وأنه كان متعجلاً جداً، وحين أخبرني الأستاذ مازي عن الطريقة التي احتال بها كامل على السيد رأفت كي يتزوج بابنته لمياء، فكرت في أن تلك العقلية هي عقلية مجرم خبير بالفعل. وحين عرض عليّ الأستاذ مازي صورة زفاف الأستاذ كامل والسيدة لمياء، لاحظت أن وجه الأستاذ كامل يذكرني بوجه شخص ما، ومع ذلك كان يجب أن أتأكد،

فأحضرت خبيراً بالحاسوب ليعدل لي تلك الصورة، وحينها تأكدت من الشبه الكبير بين الأستاذ كامل وبينك يا راضي بيه. ثم ذهبت أنا وحضرة العقيد سعد إلى السجل المدني، وتأكدنا من أن كامل هو شقيقك الأكبر بالفعل. لذا تحولت في نظري من كاشف للحقائق إلى مشتبه فيه، وقلت في نفسي "لهذا لم تردني أن أحشر أنفي في تلك القضية، خشية أن أكتشف الحقيقة". ثم أردت أن أقابل سارة من جديد، هذه المرة لأسألها سؤال واحد.. (كيف تم التحقيق معها؟). وطلبت منها أن تخبرني كل ما حدث معها أثناء التحقيق بالتفصيل الممل، فأخبرتني أن وكيل النيابة، سألها بعض الأسئلة الروتينية، ثم أخرج الشخص الذي يكتب المحضر من الغرفة وبقيا وحدهما. وبعد ذلك سألها : "هل تعرفين تلك الزجاجة؟". فأجابته أنها لا تعرفها، فأمرها أن تمسكها وتقرأ ما كُتب عليها، فامتثلت لأمره وأمسكتها بيدها وقرأت ما كتب عليها. وقالت له أنها زجاجة سم. فقال لها أن تلك الزجاجة قد وجدت في غرفة نومها وعليها بصماتها.

فسألتها : "متى كان ذلك التحقيق؟". فأخبرتني أنه كان في مساء يوم الثلاثاء.. أي اليوم الذي وقعت فيه

الجريمة، بينما أعاد التحقيق معها بشكل رسمي صبيحة يوم الخميس.

فقال مازي : "وماذا في ذلك؟".

"ربما لا تعلم يا أستاذ مازي أن زجاجة السم أرسلت إلى المعمل الجنائي في العاشرة من صباح يوم الأربعاء، أي بعد أن أجرى وكيل النيابة حديثه مع سارة، فكيف علم أن الزجاجة عليها بصمات سارة؟ بل وكيف يعطيها لسارة قبل أن يرسلها للمعمل الجنائي".

قالت السيدة أمل : "أعتذر منك يا سيادة المحقق، ولكن أنا لا أفهم ماذا تقصد".

"أقصد أن سيادة وكيل النيابة راضي بيه تعمد أن يجعل سارة تمسك زجاجة السم بيدها، حتى يثبت أن عليها بصماتها".

فسأل الأستاذ مازي : "ولكن كيف وصلت زجاجة السم إلى غرفة سارة؟ هل رجال الشرطة ساعدوه بذلك حين كانوا يفتشون الغرفة؟".

قال العقيد سعد بشئ من الغضب : "مستحيل.. فرجالي هم الذين كانوا يفتشون منزل السيدة أمل، وأنا كنت في مقدمتهم".

ابتسم سامي وقال : "الشرطة لم تفعل ذلك يا أستاذ مازي". ثم نظر إلى كريمة وقال : "أتخبرينهم أنتِ يا كريمة أم أخبرهم أنا؟".

لم تنبس كريمة ببنت شفة، فأكمل سامي حديثه قائلاً : "الحقيقة أن سعدية – أقصد كريمة – قبل أن تستأذن من السيدة أمل في السفر إلى بلدتها، تسللت إلى غرفة سارة خلسة، وأخفت فيها زجاجة السم في موضع يصعب على سارة أن تجدها فيه".

سأل مازي : "وماذا كان سيحدث لو لم يعثر عليها رجال الشرطة؟".

"كان راضي بيه سيطلب أن يفتش منزل السيدة أمل بنفسه، وبالطبع هو يعلم أين وضعت كريمة زجاجة السم".

فقالت لمياء : "لكنك لم تخبرني ما علاقة كل هذا بزوجي؟".

صاح بها مازي : "ألم تفهمي بعد أيتها الحمقاء، زوجك كان سيأخذ نصيبكِ في الميراث ويهرب به، أو يطلقك، وكان سيعطي جزءً منه لأخيه وجزءً لكريمة".

نظر إليه سامي مبتسماً وهو يقول : "ألم أقل إنك تتمتع بذكاء كبير يا أستاذ مازي؟.. لكنك نسيت أن تضيف أنه

بعد أن يطلق أختك، فإنه سيتزوج من شريكته كريمة.. أليس كذلك يا كامل؟".

نظر كامل نحو الأرض ولم يتفوه بكلمة واحدة، فقالت له لمياء : "لماذا لا ترد عليه؟.. هل ما يقوله صحيح؟.. ثم أمسكت بتلابيب قميصه وهي تصيح في هستيريا : "يا خائن يا حقير.. أتخون ثقتي بعد تلك السنين؟! أتقتل أبي من أجل المال؟! أتريد أن تطلقني بعد أن تستولي على ثروتي؟!".

ضغط وكيل النيابة على أسنانه ثم قال لسامي : "تباً لك أيها الفتى، لقد أفسدت كل شئ".

ابتسم سامي وهو يقول : "على الرحب والسعة يا راضي بيه".

قال كامل وقد بدا عليه الخوف : "وماذا ستفعلون بنا الآن؟".

فقال العقيد سعد : "يمكنك أن تسأل القاضي عن ذلك أيها المجرم".

أطلق وكيل النيابة ضحكة مجلجلة، ثم قال بعدها : "هل تظن حقاً أننا سنقف أمام القاضي يا سيادة العقيد؟!".

ابتسم العقيد وهو يقول : "وهل تظن أنت شيئاً غير ذلك أيها المجرم؟!".

"أنا لا أظن..". قال راضي، ثم استطرد : "بل أنا متأكد من ذلك". وما أن نطق بتلك العبارة الأخيرة حتى أخرج مسدساً من جيبه وهو يقول : "إياكم أن تتحركوا، سأفجر رأس من يتحرك منكم".

قال سامي : "وهل تظن أنك ستنجو بفعلتك هذه؟".

لقد خططت لذلك بالفعل، المسدس مزود بكاتم للصوت، وسأقتلكم جميعاً عدا كامل و كريمة بالطبع، ثم سأطلق الرصاص على قدم كامل، بعدها سأطلب من كريمة أن تطلق الرصاص قدمي وتهرب من تلك النافذة، وبعد أن أطمئن لهروبها وابتعادها تماماً سأفتح الباب وأجعل الجميع يرون المنظر البشع الموجود بداخل الغرفة، ثم أقول أن كريمة أطلقت الرصاص علينا جميعاً وهربت، وأنا أعلم كيف أجعلها تخرج من مصر إلى أي بلد آخر، وحينها سيحصل كامل على نصيب زوجته من ميراث أبيها بالكامل، ويلحق بكريمة، بينما سأحصل أنا على نصيبي من المال". ثم أكمل بتكبر : " وسأظل في نظر الجميع راضي عبد الله، وكيل النيابة العبقري.. خطة رائعة.. أليس كذلك؟".

قالت السيدة أمل : "لكن إن أطلقت كريمة الرصاص على قدمك فقد تعيش عاجزاً بقية حياتك".

"أعيش عاجزاً خير لي من أقضي بقية حياتي في السجن".

تشبثت ملك بذراع والدها بقوة وهي تقول : "أنا خائفة جداً يا أبي". بينما ضغط الأستاذ مازي على أسنانه في غضب قائلا لراضي : "يا لك من وغد حقير".

ونظرت لمياء إلى زوجها وهي تقول : "هل ستتركه يقتل زوجتك وصهرك يا كامل؟!".

فقال لها كامل مبتسماً : "حياتكما ليست أغلى من حياتي يا عزيزتي".

وقال راضي : "أعترف أنك أذكي شخص رأيته في حياتي يا سامي.. لكنك خسرت هذه المرة".

تبادل سامي والعقيد سعد النظر لبعض الوقت، ثم طفقا يضحكان من أعماق قلبيهما، فصاح راضي : "ما الذي يضحككما أنتما الاثنان؟!".

أشار سامي لأعلى قائلاً : "انظر هناك".

نظر راضي إلى حيث أشار سامي واتسعت عيناه عن آخرهما في دهشة وفزع، فقد رأى كاميرا صغيرة

مخفية في السقف بدقة شديدة، وقال سامي : "كل ما قلته الآن تم تسجيله بالصوت والصورة ويعرض الآن (بث مباشر) على النائب العام، وأظنه قد أصدر قراره باعتقالك على الفور. وقبل أن تفكر في الهرب من النافذة أريدك أن تلقي منها نظرة سريعة، اقترب من النافذة ببطئ وهو لا يزال مشهراً سلاحه في وجوههم، وألقى نظرة منها إلى الخارج فإذ به يرى بعض الجنود واقفين مصوبين أسلحتهم نحوه مباشرةً. عاد برأسه للداخل مسرعاً كفأر مذعور، والتفت فإذ بسامي يهوي على فكه بلكمة قوية، سقط أرضاً على إثرها، وسقط المسدس من يده، فالتقطه العقيد وضغط زر الجرس الموجود على المكتب فاقتحم بعض الجنود الغرفة وأمسكوا براضي وكامل وكريمة. ونظر سامي إلى راضي وقال له : "لا تقلق يا راضي بيه، فسأزورك في السجن، وأحضر لك معي شيئاً أعلم أنك تحبه كثيراً".

سأله راضي بغضب : "وما هو؟".

قال سامي : "كعكة التفاح!".

تمت بحمد الله